نشأة الطب

الدكتور عبدالله عبد الرازق مسعود السعيد

R
134
.S23
1985

دار الفكر للنشر والتوزيع عمان - الاردن

DOBIS

نشأة الطب

DOBIS

نشأة الطب

الدكتور عبدالله عبد الرازق مسعود السعيد

الاردن / عمان / ت ٥٨١٦٠٦٧

THE LIBRARY
KING FAHD UNIVERSITY OF PETROLEUM & MINERALS
DHAHRAN. 31261. SAUDI ARABIA

دار الفكر للنشر والتوزيع
عمان - الاردن
١٩٨٥

R
134
S23
1985
1623390 \ 1623391

جميع الحقوق محفوظة

دار الفكر للنشر والتوزيع
ص.ب. ١٨٣٥٢٠ ـ تلفون: ٦٢١٩٣٨
ساحة الجامع الحسيني ـ عمّان ـ الأردن
١٩٨٥

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِين ★ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِين ★ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِين ★ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِيْن ★ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيْئَتِي يَوْمَ الدِّين﴾ .

صدق الله العظيم

(سورة الشعراء ، الآيات ٧٨ ـ ٨٢)

الإهداء

لِـمَنْ قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه في حقِّه: « مَنْ سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهَّل له به طريقاً إلى الجنَّة » أخرجه مسلم.

ولكل متشوِّق للعلم والمعرفة أُهدي كتابي هذا.

عبد الله

المقدِّمة

الطب صناعة، وعلم، وفن، ورسالة: (يحفظ الصحة حاصلة ويستردها زائلة)[1] فيصون الصحة على الأصحاء، ويردّها على المرضى.

والطب من أفضل الصناعات التي مارسها، ويمارسها الإنسان. وهو بحاجة ماسَّة لها، لأنَّها تتعلَّق بصحته وعافيته وراحته، فهي الصناعة التي تطرد الآلام والأحزان عنه.

لقد كانت صناعة الطب عند الإنسان القديم، في الأيام الغابرة، يتدخَّل فيها الدجل والشعوذة لاعتقاده أن المرض غضب لذنب اقترفه المريض أو خطيئة عملها... فحلَّت الشياطين بجسم المريض، فيجب طردها لشفائه، والابتهال لآلهة الطب لاسترداد صحته.

لذلك، كانت تقدَّم القرابين لإرضاء آلهة الطب عندهم، واستعمال الأدوية المنفِّرة لطرد الشياطين من جسد المريض ليصحَّ ويبرأ.

وكان المرضى يذهبون للأديرة لطلب العلاج والاستشفاء على يد الطبيب الكاهن الذي كان يقرأ لهم التعاويذ والأدعية ويقوم ببعض الأعمال لطرد الشياطين من جسد المريض.

ومع تقدُّم الزمن ظهرت طبقة من الأطباء استعملوا بعض الأدوية والطرق العلاجية لمعالجة مرضاهم ومع ذلك فقد كانت الأدعية والتمائم والتِوَلـة تدخل في نطاق صناعة الطب.

وعندما جاء الإسلام أمر بالتداوي، وحرَّم التمائم، والرُّقى، والتِولة بكسر التاء أو ضمِّها وفتح الواو هي: السحر وشبهه وجاء في «القاموس[2] المحيط» للفيروز آبادي: (التُوَلَةُ كهُمزة السِحر أو شِبهه وخرز تُحبِّب معها المرأة إلى زوجها كالتُوَلَة كَعِنبَة...).

ولقد حثَّ الإسلام على التداوي ففي مسند الإمام أحمد من حديث زياد بن علاقَة عن

---

(١) انظر: «القانون في الطب» ـ الجزء الأول، تأليف إبن سينا، ص ٣.

(٢) الجزء الثالث، ص ٣٥١.

أسامة بن شريك قال: (كنت عند النبي ﷺ وجاءت الأعراب. فقالوا: يا رسول الله أنتداوى؟ فقال: «نعم يا عباد الله. تداووا: فإنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يضع داء إلاَّ وضع له شفاء غير داء واحد». قالوا: ما هو؟ قال: «الهرم»...).

وعن زينب إمرأة عبد الله بن مسعود أنَّ عبد الله رأى في عنقي خيطاً، فقال: ما هذا؟ فقلت: خيط رُقيَ لي فيه. قالت: فأخذه فقطعه ثم قال: أنتم آل عبد الله لأغنياء عن الشرك. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الرُّقى والتمائم والتّوَلَة شرك». فقلت: لِمَ تقول هكذا؟. لقد كانت عيني تُقْذَف، وكنت أختلف إلى فلان اليهودي، فإذا رقاها سكنت. فقال عبد الله: إنَّما ذلك عملُ الشيطان كان ينخسها بيده فإذا رُقي كفَّ عنها. إنَّما كان يكفيك أن تقولي كما كان رسول الله ﷺ يقول: «أذهب البأس ربّ الناس، واشفِ أنت الشافي، لا شفاء إلاَّ شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً» رواه أبو داود.

وهنالك أحاديث أخرى تحث على التداوي، فقال ﷺ: «لكل داء دواء، فإذا أُصيب دواءُ الداء، برأ بإذن الله عزَّ وجلَّ» رواه مسلم في صحيحه.

من ذلك نرى أنَّ الإسلام رسم الطريق الصحيح للمريض في طلب العلاج، وللبشرية في طلب العلم الذي جعله فريضة على كل مسلم ومسلمة وهنالك آيات قرآنية كريمة عديدة، وأحاديث نبوية شريفة كثيرة تحثُّ على طلب العلم.

لذلك شيَّد الإسلام أسمى حضارة في التاريخ وكانت لها آثار مجيدة في الحضارات العالمية ومن ضمن ذلك الطب، باعتراف علماء العالم بذلك: (وفي[٣] الطب... ثبت أنَّ للعرب... فضلاً كبيراً في إنقاذه من الضياع... يرى كمستون أنَّه لو لم يكن للعرب غير هذا الفضل في الإنقاذ لكفاهم فضلاً...).

وجاء في كتاب[٤] «معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة الأوروبية»: (... ويقول سيديلوت في كتابه «تاريخ العرب»: (كان المسلمون في القرون الوسطى منفردين في العلم والفلسفة والفنون... وقد نشروها أينما حلَّت أقدامهم وتسرَّبت عنهم إلى أوروبة فكانوا سبباً لنهضتها وارتقائها...).

---

(٣) انظر: «العلوم عند العرب»، تأليف الأستاذ قدري طوقان، ص ١١.

(٤) الطبعة الأولى، ص ١١٧، تأليف عبد الله علوان.

الفصل الأول
الطب في العصور القديمة

حاول الإنسان منذ خلقه أن يبحث عن كُنه دائه وسرِّ دوائه عندما يتعرَّض لمرض من الأمراض ليدرأ عنه الأذى والآلام، والهمّ والأحزان، فيعيش بطمأنينة واستقرار وأمان، وتظلُّ الابتسامة مشرقة على وجهه بسلام واطمئنان.

لذلك فإنَّ صناعة الطب من أشرف المهن والصناعات التي مارسها الإنسان لأنَّها تقيه من الأمراض وتعالجها إن بدت فيه. فتبدِّد أتراحه وتجلب له أفراحه والعافية والصحة لجسده والفرح والسرور والطمأنينة لنفسه وروحه والمؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف.

وقد كان الإنسان القديم في العصور الغابرة أيام بابل وسومر والمصريين القدماء والإغريق، يعتقد أنَّ كلَّ شيء مرجعه الآلهة المتعدِّدة التي كان يؤمن بها؛ وأنَّ لكلِّ إلٰه سلطانه وسيطرته على جزء من هذه الأكوان والأفعال. فقيل إنَّ عدد الآلهة عند العراقيين القدماء بلغ حوالي أربعة آلاف وستمائة إلٰه وجميعها كانت خاضعة لآلهة ثلاث وهي:

الإلٰه آنو: إلٰه السماء والجو ويعتبر رئيس الآلهة عند البابليين.

والإلٰه أنليل وهو إلٰه الهواء واليابسة.

والإلٰه أيا وهو إلٰه المياه العذبة والشفاء والعلم والكتابة والحياة الخالدة.

أما الإغريق فكان سيِّد الآلهة عندهم يسمَّى زيوس. وإبنه يسمَّى أبولون وهو إلٰه النور والفنون والجمال والموسيقى.

أمَّا كبير الآلهة عند الرومان فكان يسمَّى جوبتر ويقابله هداد لدى الشعوب السامية العربية.

وإله الطب عند اليونانيين القدماء كان يسمى أسكليبيوس، وفي الصين نونج وشانج، وفي فارس مازدا، وفي بابل عند العراقيين القدماء نينازو Ninazo ومعناه سيِّد الحكماء والأطباء. وكان له ابن يسمَّى نينجيشزيدا Ningichzida الذي كان يرمز له بعصا تلتفّ

حولها حيتان وبعض الأحيان حيَّة واحدة. وفيما بعد اتخذ الأطبَّاء ذلك الرمز شعاراً لهم حتى عصرنا هذا. لأنَّه كان يعتقد أنَّ الحيَّة لا تموت ولكن تخلع جلدها كل سنة، وبذلك يعود الشباب لها.

أمَّا إله الطبّ عند المصريين القدماء فكانت إيزيس التي أحيت زوجها بعد موته، وكانوا أيضاً يقدِّسون أمنحوتب. وبهذا الصدد فقد جاء «بالموسوعة[1] العربية الميسّرة»: (أمنحوتب... رفعه المصريون القدماء فوق مراتب البشر... قدَّسه الناس بعد وفاته فكانوا يحجُّون إلى مزار له بالدير البَحْري التماساً للشفاء ذلك لأنَّه... من أئمَّة الطب).

وكان المصريون القدماء يتَّخذون الآلهة أبولونيا آلهة لطب الأسنان التي قيل إنَّها ولدت سنة ثلاثمائة قبل الميلاد. وهي إبنة قاضٍ مصري وكان يحتفل في عيدها كل عام في التاسع من شهر شباط.

وقديماً كان الناس يعتقدون أنَّ المرض لعنة وغضب من الآلهة، حلَّت بالمريض عقاباً على معصية أو ذنب ارتكبه، وأنَّ شيطاناً دخل في جسم ذلك الشخص المريض. فيجب طرد ذلك الشيطان بأية وسيلة ولو أدَّت إلى موت المريض ليتخلَّص من الشيطان، وذلك باستعمال القوة أو بالدعاء من القدِّيسين أو بصلواتهم. وكان الكاهن الطبيب يلجأ أحياناً إلى وضع مواد في جسم المريض وفتحات جسده لينفر الشيطان منها فيخرج.

ومن هنا لقد اقترن الطب بالدين وكهنته منذ نشأته. فاحتكر رجال الدين الطب واختلط الطب والعلاج بالشعوذة والتمائم والتعاويذ لطرد الشياطين.

ويقال كما جاء في كتاب «روَّاد الطب» Men of Medicine تأليف كاترين ب. شيين Katherine B. Shippen ترجمة الدكتور محمد عيسى، يُقال إنَّ أكثر من خمسة آلاف سنة دخل طبيب كاهن من بلاد سومر القديمة التي تقع في وادي نهري دجلة والفرات بيتاً ليعالج رجلاً مريضاً ولكن كان الكاهن رجلاً غير معروف الإسم، وكان واحداً من الأطباء الكهنة العديدين الذين كانوا يقومون بواجبهم نحو السكان.

---

(١) الطبعة الثانية، ص ٢٢٧.

وكان الطبيب يرتدي زيّاً طويلاً من الصوف الأبيض وله لحية مجعّدة، وعلى رأسه قبّعة مدبّبة وعالية وكان يعتقد أنَّ الشياطين هي التي تسبِّب الأمراض. وأنَّ المريض عمل عملاً مشيناً أو سيِّئاً ليعاقب عليه. وإذا لم يستطع الطبيب طرد الشيطان فكان يلجأ إلى مناداة الآلهة. وعند معالجة الكاهن للمريض كان يبدأ بترنيم بعض الأغاني السحرية ثم يعطي المريض مواد كريهة لطرد الأرواح الشرِّيرة. من هنا نرى أنَّ الإنسان منذ القدم حاول المحافظة على نفسه فاستعان بالكاهن الطبيب ليقرِّبه لله زلفى لطرد الشياطين المسبِّبة للأمراض عنه فقامت فكرة الرقى والسحر والتعاويذ والأحجبة والتنجيم وتلكم الوسائل الطبية التي كانت شائعة في بادىء الأمر عند الأقدمين. فاتخذ الكاهن مهنة الطب، فظهر الكاهن الطبيب وبرزت الأديرة والمعابد ملجأ للمرضى يلتمسون الدعوات منه وليكون واسطة بينهم وبين الآلهة فيشفيهم من مرضهم.

فتقاطر المرضى للأديرة يقدِّمون القرابين ويشعلون الأسرجة والقناديل. وقد قيل (إنَّه كان يسرج على قبر أسكليبيوس اليوناني حوالي ألف قنديل في الليلة الواحدة)[٢].

وكان المرضى ينامون أحياناً في الأديرة الليالي الطوال. وفي بعض الأوقات كان الكهنة يستعينون بالأفاعي لتلعق الجراحات والقروح ومواضع الإصابة ليشفى الداء بلعقتها كما يزعمون.

وكانت في بعض الأحيان تحشى فتحات الجسم بمواد منفرة كالثوم والبصل لطرد الشيطان من جسد المريض ولو أدَّى ذلك إلى موت المريض. وقد جاء في كتاب «شمس العرب تسطع على الغرب» تحت عنوان «الفرنجة وفن الشفاء الأعجوبي»: (فجاءهم طبيب إفرنجي... وأبصر المرأة فقال: هذه امرأة في رأسها شيطان قد عشقها. أحلقوا شعرها. فحلقوه. فزاد بها النشاف، فقال: الشيطان قد دخل في رأسها. فأخذ الموسى وشقَّ رأسها صليباً وسلخ وسطه حتى ظهر عظم الرأس وحكَّه بالملح، فماتت في وقتها)[٣].

---

(٢) أنظر: «طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبعة، ص ٢٩ ـ ٣١.

(٣) أنظر: «شمس العرب تسطع على الغرب» د. الإلمانية زيغريد هونكه ـ المترجم إلى العربية ـ الطبعة السادسة، ص ٢١٥ ـ ٢١٦.

ولقد حدثت تلك الحادثة في القرن الثاني عشر الميلادي أيام الحروب الصليبية وليس في القرون الغابرة، وهذا هو فن العلاج العجائبي عند الفرنجة.

وكان الأقدمون في الأيام الغابرة يعتقدون أنَّ الكواكب تسيطر على الكائنات سواء كانت تلك المخلوقات إنساناً أو حيواناً أو شجراً أو حجراً. وكان بعض الأقدمين يؤمنون أنَّ لكل إنسان كوكبه يسيطر على حياته حتى النباتات كانت لها كواكب ترعاها. فكانوا يصلّون ويبتهلون للكواكب حتى تشفيهم من أمراضهم.

وكذلك عملية التوليد كانت المرأة تقوم بتوليد نفسها بنفسها. ولكن فيما بعد ظهرت القابلات (المولّدات) وكانت أُمُّ سقراط اليوناني الذي توفي سنة ٣٩٩ قبل الميلاد قابلة مشهورة[٤].

وأيضاً حاول المريض أن يلتقط بعض الأعشاب لعلَّه يشفى من مرضه. وبهذا الصدد فقد جاء في كتاب « النباتات الطبية عند العرب » : (لقد كان الاهتمام بنباتات العقاقير كبيراً في جميع الحضارات الأولى فاستعملت الصين عقاقير كثيرة منذ حوالي ٥٠٠٠ - ٤٠٠٠ سنة ق. م. وتوجد كتابات سنسكريتية تصف جميع العقاقير وتحضيرها. كذلك استخدم البابليون والأشوريون النباتات الطبية كما دلَّت عليه الوثائق الخاصة بالطب التي وجدت منقوشة على ألواح الطين ومكتوبة بحروف مسمارية. وهي على ثلاثة أقسام من البيانات: القسم الأول خاص بقوائم من الأعشاب، والقسم الثاني مجموعة من الوصفات العلاجية المختلفة مرتَّبة حسب العضو المريض. أما القسم الثالث فخاص بمناقشة الأمراض والتنبُّؤ بسيرها. كذلك تجد أنَّ القسم الأول يحوي نَصّاً ذا شأن كبير في أهمية الأعشاب الطبية في الطب البابلي، حيث إنَّه عبارة عن مذكَّرة كانت في حوزة الطبيب مرتَّبة على ثلاثة أعمدة، ففي العمود الأول يذكر إسم النبات، وفي العمود الثاني المرض الذي يعالج بهذا النبات، وفي العمود الثالث طريقة استعماله وعلى هذا الشكل:

المر... دواء لليرقان... يطبخ ويشرب في البيرة.

وإذا اقتضى الحال يذكر في العمود الأول جزء النبات الذي يستعمل مثل: حبوب أو

---

(٤) « كتاب الأمراض النسوية في التاريخ القديم وأخبارها في العراق الحديث » د. كمال السامرائي، ص ١٧.

جزء خضيري أو أصماغ أو أزهار. أمَّا النباتات التي ورد ذكرها في النصوص البابلية كأدوية فهي: المر، السَيْكران، الخردل، قشر رمان، بذور الكتَّان، الزيتون، الكمُّون، الدفلي، الآس، الخروع، النعناع، الخشخاش، عرق السوس، القنَّب، الزعفران، الثوم. كذلك استعملها قدماء المصريين لمعالجة أمراضهم لمواد عديدة منها مائتان وخمسون مادة من أصل نباتي، نخص بالذكر منها مواد تستعمل في يومنا هذا وهي الأفيون والخردل والحشيش والبلادونا (ست الحسن). كذلك استعملها قدماء المصريين لمعالجة أمراضهم حيث سجَّلت بعض أوراق البردي المصرية التي استخدمت سنة ١٦٠٠ ق. م. أسماء كثير من النباتات الطبية...

كذلك فإنَّ اليونانيين اهتموا بالأعشاب الطبية قبل ٤٦٠ ق. م. حيث كان وقتذاك أناس يختصون بالنباتات الطبية يجمعونها في الوقت المناسب ويخزِّنونها ويبيعونها وكانوا يُسمُّون العشَّابين Rhizotomoi وكثيراً ما كانوا يعالجون المرض بأنفسهم وأول من كتب عن النباتات الطبية من اليونانيين هو ثاوفرسطس أبو علم النبات (٣٧٢ ـ ٢٨٥ ق. م.) وكان تلميذ أفلاطون وصديق أرسطو. وكتاب ثاوفرسطس «البحث في النباتات» لم يترجم إلى العربية قط.

وأول من اختصَّ بالنباتات الطبية هو ديسقوريدس Dioscorides.

كذلك كان جالينوس من اليونانيين الذين اهتموا بالنباتات الطبية، ومن أهم كتبه في الأدوية كتاب «الأدوية المفردة» حيث وصف فيه قوة كل دواء من الأدوية النباتية. أمَّا الرومانيون فكانوا أقل اهتماماً بالنباتات الطبية أو العلاجية...

الأدوية المفردة أي الأدوية ذات المصادر الثلاثة المختلفة وهي النبات والحيوان والمعادن. أمَّا الأدوية المركَّبة فهي تلك الأدوية التي تتكوَّن من النباتات المختلفة وقد أطلق العرب على العقاقير ذات المصادر النباتية بالمفردات الطبية...)[٥] وديسقوريدس عاش في القرن الأول الميلادي وله كتاب «الحشائش».

ويُقال إنَّ أوَّل من حاول استعمال الأعشاب كدواء لعلَّه يشفى من مرضه قد كانت

---

(٥) أنظر: «النباتات الطبية عند العرب» د. ناصر حسين صفر، ص ١٢ ـ ١٧.

امرأة مصرية ألهمها الله بتناول تلك العشبة فتناولت الراسن وشفيت من مرضها. وبهذا الصدد فقد جاء في كتاب «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»: (... وقال قوم ألهمها الله تعالى بالتجربة، ثم زاد الأمر في ذلك وقوي، واحتجوا أنَّ امرأة كانت بمصر وكانت شديدة الحزن والهم مبتلاة بالغنط(★)، والدرد(★★)، ومع ذلك فكانت ضعيفة المعدة، وصدرها مملوء أخلاطاً رديئة، وكان حيضها محتبساً، فاتفق لها أن أكلت الراسن(★★★) مراراً كثيرة بشهوة منها له فذهب عنها جميع ما كان بها ورجعت إلى صحتها، وجميع من كان به شيء مما كان بها لـمَّا استعمله بَرَأ به، فاستعمل الناس التجربة على سائر الأشياء...) [٦].

ويستطرد ابن أبي أصيبعة ويقول: (اتفق كثير من قدماء الفلاسفة والمتطببين على أنَّ اسقليبيوس.. أوَّل من تكلَّم في شيء من الطب على طريق التجربة وكان يونانياً...) [٧].

وإذا أردنا الحق في الحكم متى وأين بدأت صناعة الطب، فهذا غير معروف، والجزم فيه صعب وذلك لبعد يوم ابتدائها ولاختلاف آراء القدماء المعنيين بهذا الأمر. فلقد رأينا فيما سبق أنَّ الصينيين استعملوا عقاقير كثيرة منذ حوالي خمسة آلاف سنة وتوجد كتابات سنسكريتية تؤيِّد ذلك. وكذلك البابليون والأشوريون استخدموا النباتات الطبية وتوجد كتابات مسمارية على ألواح الطين تؤيِّد ذلك.

وكذلك هنالك كتابات على أوراق البردي المصرية تؤيِّد أنَّ المصريين القدماء استخدموا النباتات الطبية لعلاج أمراضهم وذلك حوالي سنة ١٦٠٠ ق. م. كذلك عثر على ست جرار فيها بعض العقاقير الطبية في مقبرة زوجة أحد الفراعنة ويرجع تاريخها إلى حوالي سنة ٢٥٠٠ ق. م.

واكتشف Ebers سنة ١٨٧٣ م لفائف مصرية قديمة كتب فيها ٢٥٠ مرضاً وقائمة

(★) الغَنَط: الكرب والهم.

(★★) الدرد: ذهاب الأسنان وتكسرها.

(★★★) الراسن أو القنس: نبات طيِّب الرائحة ينفع في الآلام.

(٦) أنظر: «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» للطبيب المؤرِّخ ابن أبي أصيبعة ـ شرح وتحقيق د. نزار رضا ـ دار مكتبة الحياة ـ طبعة ١٩٦٥، ص ١٣.

(٧) المصدر السابق، ص ٢٩.

فيها سبعمائة عقار ومنها ما هو مركَّب من أجزاء من الحيوان والخضروات والمعادن والسحالي ومخ السلحفاة والأعشاب... الخ.

ويُقال إنَّ عند المصريين القدماء كانت توجد مدارس تابعة للمعابد لتدريس العقاقير والنباتات وهذه المدارس سمُّوها بيرعنخ (بيوت الحياة).

وإيزيس كانت آلهة المصريين القدماء وقد نسبوا إليها حراسة الموتى والطب والعناية بالزواج وبزراعة القمح. ويُقال إنَّها أحيت زوجها أوزيريس بعد أن قُتِل ورُمي في النيل.

أما إيمحوتب فقد لُقب بـ (الطبيب جالب السلام) وقد وُلِد حوالي ٣٠٠٠ ق.م. ولكن لا يوجد له آثار طبية بل له آثار عديدة معمارية، ويُقال إنَّه كان مهندساً للفرعون جوسر (٢٧٧٨ ـ ٢٦٠٠ ق.م.) وهو الذي بنى أوَّل هرم من الحجر بديل تلك الأبنية التي كانت من الخشب والطوب والتي لا تقاوم عوامل الطبيعة فلا تدوم طويلاً. وكان إيمحوتب يلقَّب أيضاً بـ (مراقب كل ما تأتي به السماء والأرض ويجلبه النيل).

وقد رفعه المصريون القدماء فوق مراتب البشر لما خلقه من المعجزات، (فقدَّسه الناس بعد وفاته وكانوا يحجُّون إلى مزار له بالدير البحري التماساً للشفاء ذلك لأنَّه كان من أئمة الطب)[٨].

وأوَّل طبيب مصري له أثر طبي هو الطبيب سنختناخ الذي شفى أنف الملك فبنى له أثراً صغيراً في سقارة على ضفاف النيل. وكان سنختناخ رئيس أطباء فرعون الأسرة الخامسة.

ويُقال إنَّ أقدم نص طبي في العالم وُجد في مدينة نفر في العراق في الفرات الأوسط وهي مدينة أثرية كانت عاصمة دينية لسهل شنعار في عهد السومريين والبابليين، وتبعد عن مدينة الديوانية بنحو سبعة وعشرين ميلاً، ويرجع هذا النص إلى سلالة أور الثالثة، أي حوالي ٢١٠٠ ق.م.

وقد كتب في ذلك النص وصفات طبية على ثلاثة أعمدة.

---

(٨) أنظر: «الموسوعة العربية الميسرة» الطبعة الثانية، ص ٢٢٧.

لقد كتب في العمود الأول إسم الدواء، وفي العمود الثاني المرض، وفي العمود الثالث طريقة الاستعمال، كما يلي على سبيل المثال:

عرق ورد الشمس / دواء لوجع الأسنان / يوضع على الأسنان

وقد دلّت الأبحاث أنَّ الصينيين استعملوا عقاقير كثيرة منذ حوالي ٥٠٠٠ ـ ٤٠٠٠ ق. م. وأنَّ في الهند في أواخر حضارة وادي السند سنة ألف قبل الميلاد كانت الطبيبة روسي تمارس مهنة الأمراض النسائية والولادة والتجميل.

وعندما مرض الخليفة هارون الرشيد العباسي استدعى الطبيب الهندي منكه لعلاجه وشفي الرشيد بينما عجز الأطباء عن شفائه.

وكذلك الطبيب صالح بن بهلة الهندي كان من الأطباء البارعين في العراق أيام هارون الرشيد. وهو الذي عالج ابن عم الخليفة هارون واسمه ابراهيم بن صالح والذي عجز عن معالجته الطبيب الشهير جبرائيل بن بختيشوع، وقيل عن ابراهيم لهارون إنَّه قد مات. وكادوا يدفنونه وهو حي فجرَّدوه من الكفن بعد أن فحصه صالح بن بهلة بوخزه بإبرة بين ظفر يده اليسرى ولحمه فجذب ابراهيم بن صالح يده وردَّها إلى بدنه وأخذ صالح كندساً ومنفخة وراح ينفخ من الكندس بأنف ابراهيم حوالي ثلث ساعة فشفي ابراهيم وعاش طويلاً وتزوج العباسة بنت المهدي وأصبح والياً على مصر وفلسطين.

أمَّا اليونانيون القدماء فقد اشتهروا بصناعة الطب. ويقول ابن أبي أصيبعة: (اتفق كثير من قدماء الفلاسفة والمتطببين على أنَّ أسقليبيوس.. أوَّل من تكلَّم في شيء من الطب...)[٩]. وقيل إنَّ أسقليبيوس كان تلميذاً عند هرمس الثالث المصري. وقيل أيضاً إنَّه كان ملكاً أو إلٰهاً أسطورياً عند اليونانيين القدماء.

ويُقال إنَّ اليونانيين القدماء أخذوا العلوم الطبية عن المصريين القدماء والبابليين.

وقد رفع اليونانيون أسقليبيوس إلى مرتبة الآلهة. وقد نبغ من اليونانيين القدماء أطباء أمثال أبي الطب المسمَّى أبقراط وهو الذي فصل الطب عن الفلسفة واللاهوت وقد

---

(٩) أنظر: «طبقات الأطباء»، ص ٢٩.

عاصر هيرودتس وأفلاطون وسقراط. وجاء أرسطوطاليس (٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق.م.) الذي لم يكن طبيباً ودعاه العرب بالمعلِّم الأوَّل وكان فيلسوفاً وألَّف في علم الأحياء والحيوان والنبات والتشريح والفسيولوجيا. وتفسير أرسطوطاليس تام الفضيلة، ومن كتبه كتاب سوفسطس، وكتاب الصحة والسقم، وكتاب الأورغانون في المنطق، وكتاب ما بعد الطبيعة، وكتاب الحيوان، وكتاب في الطب، وكتاب في تدبير الغذاء، وكتاب في النبض، وله كتب في السياسة والشعر والأخلاق... الخ.

ثم اشتهرت الإسكندرية التي أنشأها الإسكندر الأكبر ملك مقدونيا (٣٥٦ ـ ٣٢٣ ق.م.) الذي تتلمذ على أرسطو وفي سنة ٣٣٢ ق.م. استولى على مصر وتوغَّل في الأمبراطورية الفارسية حتى الهند واجتاح البنجاب وأنشأ الإسكندرية سنة ٣٣٢ ق.م. ويعزى إليه نشر الحضارة الإغريقية في الشرق.

لقد ظلَّت الإسكندرية عاصمة مصر حتى سنة ٦٤١ م وكان عصر البطالسة عصرها الذهبي، وصارت مركزاً هاماً للثقافة العالمية. واشتهرت بمكتبتها العظيمة. وقد أنشأ بطليموس الأول الذي أصبح ملكاً على مصر سنة ٣٠٥ ق.م. جامعة الإسكندرية. واحتلَّ الرومان سنة ٣٠ ق.م. الإسكندرية. وفتحها عمرو بن العاص في أكتوبر سنة ٦٤١ م. ونقل العاصمة إلى الفسطاط فقلَّت أهميتها.

ومن أطبائها المشهورين والذين تخرَّجوا من جامعة الإسكندرية هيروفيلوس الذي عاش في النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد وكان طبه طب الأمزجة وهي الدم والبلغم والصفراء والسوداء وأي تغير فيها يسبب المرض. وكان يشتهر بعلم التشريح والفسيولوجيا. وقد جاء في «الموسوعة العربية الميسَّرة»: (هيروفيلوس: عالم بالطب... كانت أهم أبحاثه في التشريح ويقال إنَّه لم يجرها على الموتى فحسب بل على الأحياء أيضاً، وكانت تدور حول المخ والأعصاب والرئتين وأعضاء التناسل وتدلّ نتائج أبحاثه على أنَّه قام كذلك بتشريح الحيوان)[١٠].

ومن أشهر أطباء الإسكندرية، الطبيب كلوديوس جالينوس، وهو طبيب وكاتب

---

(١٠) أنظر: «الموسوعة العربية الميسرة» الطبعة الثانية، ص ١٩٢٧.

يوناني وُلد في برجامون سنة ١٣٠ بعد الميلاد، وبرجام مدينة قديمة في آسيا الصغرى التي كانت مركزاً مزدهراً للحضارة الإغريقية وتوفي سنة ٢٠٠ بعد الميلاد. وقد درس في جامعة الإسكندرية.

وبعد وفاة جالينوس اشتهر من الأطباء الإسكندرانيين الذين جمعوا كتب جالينوس الستة عشر، وكانوا مسيحيين، هم: اصطفى الإسكندراني وجاسيوس الإسكندراني وأنقيلاوس الإسكندراني وأكيلاوس وثاودوسيوس وفلاذيوس ويحيى النحوي الإسكندراني الذي لحق أوائل الإسلام ومات مسيحياً يعقوبياً.

وقد جاء في كتاب « الأمراض النسوية في التاريخ القديم وأخبارها في العراق الحديث »: (... ودخل فيثاغورس بابل وتعلَّم فيها الرياضيات والموسيقى ورجع إلى كروتون بإيطاليا حيث أسَّس فيها مدرسته الشهيرة وصار يحاضر فيها عن حضارة بابل... وفي القرن السادس ق. م. أو قبله بقليل ظهرت مدرسة في جزيرة قنيدس ثم أخرى في قوص القريبتين من الشاطىء العربي لآسيا الصغرى واشتهرت جزيرة قوص لانتساب أبقراط أبي الطب إليها حيث ولد ودرس الطب في مدرستها ومارسه في ساحتها قبل أن ينتقل إلى أثينة واشتهرت قنيدس بدراستها للأمراض النسائية والتوليد... وتعتبر مدرسة قنيدس أول من تدارس موضوع أمراض النساء كاختصاص في تاريخ الطب عموماً (ساراتون ٢٢٣/٢)[١١].

ويستطرد الأستاذ الدكتور كمال ويقول: (... ويعتبر أبقراط أوَّل من اهتم بطبابة المرأة وما يخص أنوثتها وحبلها وما يجب العمل لها أثناء الحمل والولادة والنفاس...)[١٢].

وأمَّا في بلاد فارس فقد اشتهرت مدينة جُنديسابور بمدرستها الطبية والتي شيَّدها سابور الثاني الملك الساساني وذلك سنة ٣٤٠ م.

أمَّا المدينة جُنديسابور فقد شيَّدها الملك سابور الأول الساساني في خوزستان وأسكن

---

(١١) أنظر: « الأمراض النسوية في التاريخ القديم وأخبارها في العراق الحديث »، د. كمال السامرائي - رئيس قسم الأمراض النسائية والتوليد في كلية طب بغداد، سنة ١٩٥٠، ص ١٣ - ١٥.

(١٢) المصدر السابق، ص ١٧.

فيها الشعوب اليونانية التي أسرها. وفتحها أبو موسى الأشعري سنة ٦٣٨ م. في عهد عمر بن الخطَّاب.

ولقد اجتمع في مدرسة جُنديسابور ومستشفاها العديد من الأطباء من جنسيات مختلفة يهود ونصارى وصابئة ويونانيين وذلك لأنَّه كانت فيها حرية الفكر والأديان فازدهر الطب فيها.

وكان للسريان المسيحيين النساطرة دور كبير في التعليم في مدرسة جُنديسابور. وكان رئيس أطبائها النسطوري جورجيوس بن جبرائيل. وعندما ذهب إلى بغداد بطلب من الخليفة العباسي المنصور لمعالجته. بقي ابنه بختيشوع بن جورجيوس مديراً لبيمارستان جنديسابور. ونِسطور كان بطريركاً للقسطنطينية فاعترض على تسمية مريم العذراء بوالدة الإلٰه فحرمه مجمع إفسس المسكوني سنة ٤٣١ م. من حقوقه، فطرد من منصبه ومات بمصر سنة ٤٤٠ م. وسُمِّي أتباعه بالنسطوريين ولجأ أتباعه إلى جُنديسابور وأسَّسوا مدرسة الطب فيها وترجموا الكتب اليونانية الطبية للسريانية وفي أيام العباسيين ترجموا العديد من الكتب الطبية للعربية.

الفصل الثاني
المبتدئون بالطب...

الهرامسة الأطباء الثلاثة

١ ـ هرمس الأول

٢ ـ هرمس الثاني

٣ ـ هرمس الثالث

هرمس الأول

لقد قيل إنَّ هنالك ثلاثة من الهرامسة وهم: ١ ـ هرمس الأول، ٢ ـ هرمس الثاني، ٣ ـ هرمس الثالث. وبهذا الصدد فقد جاء في كتاب «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» ما يلي:

(هرمس الأول: وهو المثلث بالنعم فإنه كان قبل الطوفان ومعنى هرمس لقب كما يُقال قيصر وكسرى، وتسمِّيه الفرس في سيرها اللهجد، وتفسيره ذو عدل، وهو الذي تذكر الحرَّانية نبوته، وتذكر الفرس أنَّ جده كيومرث وهو آدم، ويذكر العبرانيون أنَّه أخنوخ وهو بالعربية إدريس). قال أبو معشر: (هو أول من تكلم في الأشياء العلوية من الحركات النجومية وأنَّ جده كيومرث وهو آدم علَّمه ساعات الليل والنهار وهو أول من بنى الهياكل ومجَّد الله فيها وأول من نظر في الطب وتكلَّم فيه وأنَّه ألَّف لأهل زمانه كتباً كثيرة... وهو أول من أنذر بالطوفان... وكان مسكنه صعيد مصر... فبنى هناك الأهرام).

وثبت في الأثر المروي عن السلف: (أنَّ إدريس أول من درس الكتب، ونظر في العلوم، وأنزل الله عليه ثلاثين صحيفة، وهو أول من خاط الثياب ولبسها، ورفعه الله مكاناً علياً)[1].

وجاء في كتاب «قصص الأنبياء»: (... إدريس عليه السلام هو إدريس بن يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيت بن آدم عليه السلام وإسمه في التوراة العبرية (خنوخ) وفي الترجمة العربية (أخنوخ)... أعطي النبوة بعد آدم وشيت عليهما السلام... وذكر ابن إسحاق أنَّه أول من خطَّ بالقلم وقد أدرك من حياة آدم ثلاثمائة

---

(١) أنظر: «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»، ص ٣١ ـ ٣٣، نقلاً عن كتاب «الألوف» تأليف أبو معشر البلخي المنجم.

سنة وثمان سنين... ويسمُّونه هرمس الهرامسة)[٢]. وجاء في نفس المصدر السابق: (اختلف الحكماء في مولده فقالت فرقة وُلد بمصر وسمُّوه هرمس الهرامسة ومولده بمنفا وقالوا هو باليونانية أرميس وعُرِّب بهرمس ومعنى أرميس عطارد وقال آخرون اسمه باليونانية طرميس وهو عند العبرانيين خنوخ وعُرِّب أخنوخ وسمَّاه الله عزَّ وجلَّ في كتابه المبين (إدريس) وقال هؤلاء إنَّ معلِّمه اسمه الغوثاذيمون وقيل أغتاذيمون المصري ولم يذكروا من كان هذا الرجل. إلاَّ أنَّهم قالوا كان أحد الأنبياء اليونانيين والمصريين وسمُّوه أيضاً أورين الثاني وإدريس عندهم أورين الثالث. وتفسير غوثاذيمون السعيد الجد وقالوا وخرج هرمس من مصر وجاب الأرض كلها ثم عاد إليها ورفعه الله إليه بها، وذلك بعد اثنين وثمانين سنة من عمره.

وقالت فرقة أخرى إنَّ إدريس وُلد ببابل ونشأ بها وشيث بن آدم هو جد جد أبيه...

وقال الشهرستاني: إنَّ أغثاذيمون هو شيث... وبابل بالسريانية النهر... وأقام إدريس بمصر يدعو الخلائق إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطاعة الله عزَّ وجلَّ...)[٣].

وقال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿واذكر في الكتاب إدريس إنَّه كان صديقاً نبيَّاً ★ ورفعناه مكاناً عليَّا﴾[٤].

جاء في كتاب «مختصر تفسير ابن كثير»: (ذكر إدريس عليه السلام بالثناء عليه بأنَّه كان صدِّيقاً نبيَّاً وأنَّ الله رفعه مكاناً عليَّاً.. وعن ابن عباس أنَّ إدريس كان خيَّاطاً.. وقال مجاهد في قوله ﴿ورفعناه مكاناً عليَّاً﴾ قال: إدريس رفع ولم يمت كما رفع عيسى، وقال سفيان عن مجاهد ﴿ورفعناه مكاناً عليَّاً﴾ قال: السماء الرابعة، وقال الحسن وغيره في قوله ﴿ورفعناه مكاناً عليَّاً﴾ قال: الجنَّة)[٥].

---

(٢) أنظر: «قصص الأنبياء»، الأستاذ عبد الوهاب النجَّار ـ ط ٢ ـ ص ٢٥ ـ ٢٦.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٥.

(٤) سورة مريم، الآيتان ٥٦، ٥٧.

(٥) أنظر: «مختصر تفسير ابن كثير» اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني ـ المجلَّد ٢ ـ الطبعة ٧، ص ٤٥٦.

هرمس الثاني

لقد كان هرمس الثاني من أهل بابل في العراق، وعاش بعد الملك نمرود بن كوش الذي كان خصماً عنيداً للنبي إبراهيم عليه السلام.

وكان هرمس الثاني بارعاً في العلوم الطبية والفلسفية.

وبهذا الصدد فقد جاء في كتاب « عيون[٦] الأنباء في طبقات الأطباء »: (... هرمس الثاني: فإنَّه من أهل بابل بعد نمرود (كان خصماً لإبراهيم عليه السلام) بن كوش، وكان بارعاً في علم الطب والفلسفة وعارفاً بطبائع الأعداد وكان تلميذه فيثاغورس الإرتماطيقي (فيلسوف ورياضي يوناني في القرن السادس ق.م.، ويعزى إليه جدول الضرب في الحساب).

وهرمس هذا جدَّد من علم الطب والفلسفة وعلم العدد ما كان قد دُرس بالطوفان ببابل ومدينة الكلدانيين، هذه مدينة الفلاسفة من أهل المشرق وفلاسفتهم أوَّل من حدَّد الحدود ورتَّب القوانين).

هرمس الثالث

يقول ابن أبي أصيبعة في كتابه[٧]: (... أمَّا هرمس الثالث: فإنَّه سكن مدينة مصر وكان بعد الطوفان وهو صاحب كتاب الحيوانات ذوات السموم وكان طبيباً فيلسوفاً وعالماً بطبائع الأدوية القتَّالة والحيوانات المؤذية، وكان جوَّالاً في البلاد طوافاً بها وله كلام حسن في صناعة الكيمياء... وكان له تلميذ يعرف بأسقليبيوس وكان مسكنه بأرض الشام).

أمَّا الأمير أبو الوفاء المبشِّر بن فاتك الذي كان محبّاً للعلم والمطالعة وألَّف كتباً في الطب وغيره يقول كما روى ابن أبي أصيبعة: (وقال الأمير أبو الوفاء المبشِّر بن فاتك في كتاب « مختار الحكم ومحاسن الكلم »: إنَّ أسقليبيوس هذا كان تلميذ هرمس وكان يسافر معه فلمَّا خرجا من بلاد الهند وجاءا إلى فارس خلفه ببابل ليضبط الشرع فيهم.

---

(٦) تأليف الطبيب المؤرِّخ ابن أبي أصيبعة، ص ٣١ ـ ٣٣.

(٧) أنظر: « عيون الأنباء في طبقات الأطباء »، ص ٣١ ـ ٣٣.

قال: وأمَّا هرمس هذا فهو هرمس الأول ولفظه أرمس وهو اسم غطارد ويسمَّى عند اليونانيين أطرسمين وعند العرب إدريس وعند العبرانيين أخنوخ وهو ابن يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليهم السلام. ومولده بمصر في مدينة منف منها قال وكانت مدته على الأرض اثنتين وثمانين سنة وقال غيره ثلاثمائة وخمساً وستين سنة)[٨].

أمَّا «المنجد في الأعلام» فقد ذكر: (هِرمِس Hermes: ابن زفس، إله الفصاحة والتجارة عند اليونان ورسول الآلهة. سمَّاه الرومان مَدكور)[٩].

وجاء في «الموسوعة العربية الميسَّرة»: (هيرميس: في أساطير اليونان ابن زيوس، إله التجارة والخط والمسابقات الرياضية ورسول الآلهة أو مرافق الأرواح إلى عالم الموتى لكنه مع ذلك كان مرحاً طروباً، يحب العزف على القيثارة التي اخترعها وكانت تقام له احتفالات صاخبة أهمها الهيرميا عند اليونان والميركوراليا عند الرومان)[١٠].

---

(٨) أنظر: «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»، ص ٣١.

(٩) أنظر: «المنجد في الأعلام»، الطبعة ٢ ـ ص ٥٤.

(١٠) أنظر: «الموسوعة العربية الميسرة»، الطبعة ٢ ـ ص ١٩٢٦.

الفصل الثالث
روّاد الطب القديم

أ ـ أطباء اليونانيين القدماء

١ ـ أسقليبيوس

٢ ـ أبقراط

٣ ـ جالينوس

٤ ـ يولس الأجيني

٥ ـ أيتوس الأمدي

ب ـ أطباء المصريين القدماء

١ ـ ايمحوتب

٢ ـ امنحوتب بن حابو

٣ ـ سنختناخ

٤ ـ الطبيب خوى والطبيب ايرى

أ) أطباء اليونانيين القدماء

١ ـ أسقليبيوس Asklipos

هنالك أقوالٌ متباينة كثيراً عن شخصية وحقيقة أسقليبيوس.

فمن قائل إنَّه شخصية خيالية وأسطورية، فيُقال إنَّه كان إله الطب والشفاء عند اليونانيين القدماء.

وقد جاء في كتاب «المنجد في الأعلام»: (أسكليبيوس: إسكولاب عند الرومان. إله الطب عند اليونان والرومان ابن أبولون. سحقه جوبتر بغضبه، نزولاً عند طلب بلوتون إله الجحيم وقد تشكّى من أسكولاب لكونه يخرّب مملكته بشفاء المرضى وإقامة الموتى (ميثولوجيا)[١].

وجوبتر كما يقول المصدر السابق: (جوبيتر: كبير آلهة الرومان وهو عندهم أب الآلهة وسيّدها، يقابل زفس لدى اليونان شيَّد له الرومان هيكلاً عظيماً في بعلبك)[٢].

وجاء أيضاً في المصدر السابق: (زِفس Zeius سيّد الآلهة لدى اليونان ابن كرونوس إله العواصف والأمطار يقابله هداد لدى الشعوب السامية العربية...)[٣].

وجاء أيضاً: (بلوتون Pluton) ابن سانورنوس ملك الجحيم وإله الأموات عند الرومان)[٤].

أمَّا «الموسوعة العربية الميسَّرة» فقد جاء فيها: (أسكليبيوس: طبيب إغريقي أسطوري ابن أبولون وكورونيس كان القنطور (خيرون) الحكيم أوَّل معلِّميه، فلمَّا مهر حتى استطاع إحياء الموتى، قتله زيوس، فحمل أبولون زيوس على أن يجعل أسكليبيوس

---

(١) أنظر: «المنجد في الأعلام»، الطبعة ٢ ـ ص ٣٠.
(٢) المصدر السابق، ص ١٧٦.
(٣) المصدر السابق، ص ٢٥٠.
(٤) المصدر السابق، ص ١٠٣.

إله الطب والمعتقد أنَّ عبادة أسكليبيوس نشأت في تساليا، وقد أقيمت له معابد في أماكن كثيرة، حيث كان المرضى يعالجون بالتدليك والحمامات. وكان الثعبان والديك مقدسين عنده. أمَّا الذين ادعوا أنَّهم من نسله أو اتبعوا تعاليمه فيسمُّون الإسكليبيين)[٥].

وتساليا إقليم في شمال بلاد اليونان في العصور القديمة استولى عليه الأتراك سنة ١٣٥٥ م. وضُمَّت لليونان سنة ١٨٨١ م.

وأبولون كما جاء في كتاب «المنجد في الأعلام»: (أبولون Apolon: إله النور والفنون والجمال عند اليونان، ابن زفس كان له معبد في دلفه اشتهر كمركز للتكهّن)[٦]. أمَّا «الموسوعة العربية الميسَّرة» فتقول: (أبولون إله النور والموسيقى والشعر والتنبؤات عند اليونان كان إله الرعاة والقطعان وإله الشفاء وُلد بجزيرة ديلوس...)[٧].

أمَّا كاترين ب. شبن Katherine B. Shippen فتقول في كتابها «روَّاد الطب» Men of Medicine: (وكان الإله أسقلبيادس شاباً شهماً وسيم الطلعة ومحبَّاً للسلام... وكانت تساعده في أعماله بعض الأفاعي التي يوجد منها في المعبد عدد لا بأس به والتي كانت تزحف من نائم إلى آخر لاعقة جراحه أو قروحه بألسنتها الشافية وكان المرضى يستقبلونها بسرور لأنَّهم كانوا متأكدين من مقدرتها على شفائهم)[٨].

وجاء أيضاً: (.. ومن الواضح أنَّ كلَّ إنسان مريض أو مصاب كان يستطيع في الأيام العريقة في القدم أن يزور معبد الإله أسقلبيادس لينام فيه ويحلم ويشفى من أمراضه...)[٩].

وورد أيضاً: (وتقول الأسطورة إنَّ كورونيس كانت خائنة لزوجها أبولو وإنَّه قتلها

---

(٥) أنظر: «الموسوعة العربية الميسرة»، الطبعة الثانية - ص ١٥١.
(٦) أنظر: «المنجد في الأعلام»، ص ١٠.
(٧) أنظر: «الموسوعة العربية الميسرة»، ص ٤١.
(٨) أنظر: «روَّاد الطب»، ترجمه للعربية م. عيسى، ط ١٩٦٢، ص ٢٧ - ٢٨.
(٩) المصدر السابق، ص ٣١.

من أجل ذلك ممَّا يفسِّر السبب الذي من أجله تولى (القنطروش شيرون) أو الحيوان الخرافي تربية أسقلبيادس وكان شيرون قد علَّمه عدداً من أسرار الشفاء والطب الأمر الذي مكَّنه من إعادة الحياة إلى رجل ميت ثم قتله زيوس بصاعقة من أجل جرأته على القيام بمثل هذا العمل...)[١٠].

ولقد بنى اليونانيون القدماء لأسكليبيوس إله الطب والشفاء الهياكل والمعابد وقصدها المرضى للشفاء من أمراضهم وناموا فيها حتى تمَّت معالجتهم وشفاؤهم. وكان يوجد في تلك المعابد حيَّات تلعق قروح وجراحات وإصابات المرضى النائمين في تلك المعابد فتشفيهم من عللهم.

وقيل إنَّ والد أسكليبيوس هو أبولو إله الفنون والجمال والنور عند اليونانيين وأمه كانت ذات الجمال الباهر الحورية كورونيس Coronis أمَّا ابنتاه فكانتا تسمَّيان بيناكيا Panakia أو باناس كما يدعوها البعض وهيجيايا Hygieia أو هيجيا كما تسمَّى أحياناً ومن هنا اشتقَّت كلمة Hygiene ومعناها علم الصحة لأنَّ هَيْجيا معناها إلاهة الصحة عند الإغريق[١١]. ويُقال إنَّ هَيْجيا كانت تجمع سم الأفاعي للمداواة والعلاج. وجاء في «طبقات الأطباء»: (أسقليبيوس، إمَّا أن يكون إسماً لملك بعثه الله فعلَّم الناس الطب وإمَّا أن يكون قوة لله عزَّ وجلَّ علَّمت الناس الطب)[١٢].

وقال البعض عن شخصية أسكليبيوس إنَّها شخصية حقيقية وإنَّه إنسان بشر ولد بجزيرة قو الموجودة في بحر إيجة وهي جزيرة من مجموعة جزر الدوديكانيز التي تبعد عن ساحل آسيا الصغرى بحوالي أربعة كيلومترات وأهم مدنها كوس وكانت مركزاً مهماً للثقافة والفنون في العهد اليوناني القديم. ونبغ منها الرسَّام الشهير آبل وأبناء آل أسكليبيوس ومنهم الطبيب الشهير أبقراط المولود في تلك الجزيرة.

ويُقال إنَّ الذي علَّم أسكليبيوس الطب هو هرمس المصري.

ويقول البعض إنَّ أسكليبيوس هو النبي إدريس عليه السلام كما ذكر ذلك الطبيب

---

(١٠) المصدر السابق، ص ٢٤ ـ ٢٥.

(١١) أنظر: «قاموس المورد»، ط ١١ ـ ص ٤٤١، وهو قاموس إنجليزي عربي.

(١٢) أنظر: «طبقات الأطباء»، ابن أبي أصيبعة، ص ٤٤.

المؤرِّخ الشهير ابن أبي أصيبعة[١٣]. وآخرون يقولون إنَّ أسكليبيوس عبارة عن صورة متقمِّصة لشخص أمنحوتب الوزير الأعظم لفرعون مصر الذي عبده شعبه.

وأسقليبيوس كما يُقال هو الذي بدأ صناعة الطب في اليونانيين. وقد علَّم تلك الصناعة أولاده، وأوصاهم أن لا يعلِّموها الغرباء عنهم.

وكان آل أسقليبيوس يتوارثون الطب عن بعضهم البعض.

ولقد بلغ أمر أسقليبيوس أنَّه أشفى المرضى المصابين بالأمراض المستعصية والذين لا أمل في شفائهم، وبذلك ظنَّ العامَّة من الناس أنَّه يحيي الموتى وأنَّ الله سبحانه وتعالى كرَّمه إكراماً بليغاً ورفعه إليه وأنَّه أصبح بمنزلة الملائكة. والبعض يقول إنَّه النبي إدريس عليه السلام.

وبهذا الصدد يقول ابن أبي أصيبعة في كتابه: (أسقليبيوس... وزعموا أنَّ الله تعالى رفعه إليه... وصيَّره في عديد الملائكة ويُقال إنَّه إدريس عليه السلام)[١٤]. ويقول ابن أبي أصيبعة أيضاً: (اتفق كثير من قدماء الفلاسفة والمتطببين على أنَّ أسقليبيوس.. هو أوَّل من ذكر من الأطباء وأوَّل من تكلَّم في شيء من الطب على طريق التجربة وكان يونانياً... وقال الشيخ الجليل أبو سليمان بن طاهر السجستاني المنطقي في (تعاليقه) إنَّ أسقليبيوس بن زيوس، قالوا مولده روحاني، وهو إمام الطب وأبو أكثر الفلاسفة قال: وإقليدس ينسب إليه، وأفلاطون وأرسطوطاليس وبقراط... وبقراط كان السادس عشر من أولاده... أقول: وترجمة أسقليبيوس بالعربي منع اليبس وقيل إنَّ أصل هذا الإسم في لسان اليونانيين مشتق من البهاء والنور. وكان أسقليبيوس على ما وجد في أخبار الجبابرة بالسريانية ذكي الطبع، قوي الفهم حريصاً مجتهداً في علم صناعة الطب... وحُكي أنَّه وجد علم الطب في هيكل كان لهم... ويُقال إنَّ أسقليبيوس هو الذي وضع هذا الهيكل ويُعرف بهيكل أسقليبيوس.. وذكر جالينوس.. أنَّ طب أسقليبيوس كان طباً إلهياً وقال أبقراط إنَّ الله تعالى رفعه إليه في الهواء في عمود من نور... وقال غيره:

---

(١٣) أنظر: «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»، ص ٣٣.

(١٤) المصدر السابق، ص ٣٣.

(إنَّ أسقليبيوس كان معظَّماً عند اليونانيين وكانوا يستشفون بقبره). ويُقال إنَّه كان يسرج على قبره كل ليلة ألف قنديل. وكانت الملوك من نسله تدعي له النبوة.

وذكر أفلاطون في كتابه المعروف «بالنواميس» عن أسقليبيوس أشياء عدة من أخباره بمغيبات وحكايات عجيبة ظهرت عنه بتأييد إلٰهي... وقال في المقالة الثالثة من كتاب «السياسة»: إنَّ أسقليبيوس كان هو وأولاده عالمين بالسياسة وكان أولاده جنداً فرهة وكانوا عالمين بالطب. وقال: إنَّ أسقليبيوس كان يرى أنَّ من كان به مرض يبرأ منه عالجه ومن كان مرضه قاتلاً لم يطل حياته التي لا تنفعه ولا تنفع غيره، أي يترك علاجه له.

وقال الأمير أبو الوفاء المبشر بن فاتك في كتاب «مختار الحكم ومحاسن الكلم»: (إنَّ أسقليبيوس هذا تلميذ هرمس وكان يسافر معه فلمَّا خرجا من بلاد الهند وجاءا إلى فارس خلفه ببابل ليضبط الشرع فيهم قال: وأمَّا هرمس هذا فهو هرمس الأوَّل ولفظه أرمس وهو إسم عطارد. ويسمَّى عند اليونانيين أطرسمين وعند العرب إدريس، وعند العبرانيين أخنوخ... ومولده بمصر في مدينة منف...).

وقال غيره إنَّ أسقليبيوس كان قبل الطوفان الكبير. وهو تلميذ أغاثوذيمون المصري وكان أغاثوذيمون أحد أنبياء اليونانيين والمصريين وتفسير أغاثوذيمون السعيد الجد. وكان أسقليبيوس هذا هو البادىء بصناعة الطب في اليونانيين عَلَّمها بنيه وحذَّر عليهم أن يعلِّموها الغرباء.

وأمَّا أبو معشر البلخي المنجم فإنَّه ذكر في كتاب «الألوف»: (إنَّ أسقليبيوس هذا لم يكن بالمتألِّه (المتكلِّف الألوهية) الأوَّل في صناعة الطب ولا بالمبتدىء بها، بل إنَّه عن غيره آخذ وعلى نهج من سبقه سلك).

وقيل إنَّه كان تلميذ هرمس المصري [١٥]. ويستطرد ابن أبي أصيبعة في كتابه فيقول: (وكان الذي خلَّفه أسقليبيوس من التلاميذ من ولد وقرابة ستة وهم: ماغنيس، وسقراطون، وخروسيس الطبيب، ومهراريس المكذوب عليه المزوَّر نسبه في الكتب

(١٥) المصدر السابق، ص ٢٩ ـ ٣١.

الأولى وأنَّه لحق سليمان بن داود وهذا حديث خرافة لأنَّ بينهما ألوف من السنين، وموريدس وميساوس... وكان كلٌّ واحد من هؤلاء ينتحل رأي استاذه أسقليبيوس وهو رأي التجربة... غورس هو الثاني من الأطباء الحذاق المشهورين الذين أسقليبيوس أولهم على ما ذكره يحي النحوي وذلك أنَّه قال: الأطباء المشهورون الذين يقتدى بهم في صناعة الطب من اليونانيين على ما تناهى إلينا ثمانية وهم: أسقليبيوس الأول، وغورس ومينس، وبرماندیس، وأفلاطن الطبيب، وأسقليبيوس الثاني، وأبقراط وجالينوس...) [١٦] وأسقليبيوس الثاني هو سادس الأطباء المشهورين من بعد أسقليبيوس الأول. وبعد وفاة أسقليبيوس الثاني خلَّف وراءه ثلاثة من تلاميذه وهم ماغارنيس وأرخس اللذان توفيا وبقي الطبيب الفيلسوف وهو التلميذ الثالث والمسمَّى أبقراط.

٢ ـ أبقراط Hippocrates

نحو ٤٦٠ ـ ٣٧٧ ق. م. ـ أو ٣٧٠ ق. م.

أبقراط من أشهر الأطباء في العصور القديمة وهو طبيب يوناني وكان السابع من الأطباء الذين كان أسقليبيوس اليوناني أوَّلهم. ووالده يسمَّى إيراقليدس وأمه تدعى فركسيتا.

ويعتبر أبقراط الثامن عشر من نسل أسقليبيوس. والبعض يقولون إنَّه عاش ثلاثة وثمانين سنة وآخرون يقولون خمساً وتسعين سنة. وعندما بلغ السادسة عشر من عمره أصبح عالماً ومعلِّماً وكان بين وفاة أسقليبيوس الثاني وظهور أبقراط سنتان فقط.

لقد ولد أبقراط في جزيرة قو وتُسمَّى أحياناً كوس اليونانية. وتقع في بحر إيجة وتعد ثاني جزيرة في الكبر من جزر الدوديكانيز، وتبعد عن ساحل آسيا الصغرى نحو أربعة كيلومترات وكانت مركزاً ثقافياً مهماً في زمن الإغريق والرومان.

وكانت قوس أو قو أحد الأماكن الثلاثة التي فيها يدرس الطب وأهم مدن تلك الجزيرة مدينة كوس.

وثاني تلك الأماكن جزيرة رودس وهي تقع في بحر إيجة في اليونان قريبة من سواحل

---

(١٦) المصدر السابق، ص ٣٩ ـ ٤٢.

آسيا الصغرى وهي تعدُّ من أكبر جزر الدوديكانيز وعاصمتها تسمَّى رودس وتقع على الساحل الشمالي الشرقي.

ولقد وصلت رودس إلى أوج عظمتها كمركز ثقافي وتجاري في القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد. وكان فيها تمثال كولوسوس الذي يعتبر من عجائب الدنيا وكذلك اشتهرت فيها مدرسة للخطابة وتخرَّج منها الأمبراطور يوليوس قيصر. واستولى على رودس السلطان العثماني سليمان الأوَّل سنة ١٥٢٣ م. ثم استولت عليها إيطاليا من تركيا سنة ١٩١٢ م. وآلت إلى اليونان سنة ١٩٤٧ م.

وثالث تلك الأماكن التي كان يدرس بها الطب هي مدينة قنيدس وهي مقابلة لقو وتقع على الشاطىء الآسيوي ومنها ستراتوس الذي شيَّد منارة الإسكندرية.

ويُسمَّى أبقراط أبـا الطب ويُدعى أحياناً بقراط وكان يحب الترحال طلباً للعلم فدرس في أثينا واستكمل دراسته أثناء ترحاله.

وعندما رأى أبقراط أنَّ صناعة الطب كادت أن تندرس وتبيد علَّمها لمن يستحقها من سائر الناس ممَّن ليسوا هم من آل أسقليبيوس والذين قلُّوا وكانوا يتوارثون صناعة الطب فيعلِّم الرجل منهم ولده أو ولد ولده فقط.

واشترط أبقراط على من يتعلَّم صناعة الطب أن يحافظ على النواميس والعهد الذي وضعه وعرَّف فيها من الذي ينبغي له أن يتعلَّم العلوم الطبية وعلى الطبيب أن يكون متصفاً بالطهارة والفضيلة.

أمَّا العهد الذي وضعه أبقراط وهو الذي يُسمَّى قسم أبقراط فكان كما يلي نقلاً عن كتاب « عيون الأنباء في طبقات الأطباء »: (قسَم أبقراط: قال أبقراط: إنِّي أُقسم بالله رب الحياة والموت، وواهب الصحة، وخالق الشفاء وكل علاج. وأُقسم بأسقليبيوس. وأُقسم بأولياء الله من الرجال والنساء جميعاً. وأُشهدهم جميعاً على أنِّي أفي بهذه اليمين وهذا الشرط. وأرى أنَّ المعلِّم لي هذه الصناعة بمنزلة آبائي، وأُواسيه في معاشي. وإذا احتاج إلى مال واسيته وواصلته من مالي... وأمَّا الجنس المتناسل منه فأرى أنَّه مساوٍ لإخوتي، وأُعلِّمهم هذه الصناعة إن احتاجوا إلى تعلُّمها بغير أجرة ولا شرط وأُشرك أولادي وأولاد المعلِّم لي والتلاميذ الذين كتب عليهم الشرْط أو حلفوا بالناموس الطبي

في الوصايا والعلوم وسائر ما في الصناعة. وأمَّا غير هؤلاء فلا أفعل به ذلك، وأقصد في جميع التدابير، بقدر طاقتي، منفعة المرضى... وأمَّا الأشياء التي تضرُّ بهم وتدني منهم بالجور عليهم فأمنع منها بحسب رأيي. ولا أعطي إذا طُلب منِّي دواء قتَّال، ولا أشير أيضاً بمثل هذه المشورة. وكذلك أيضاً لا أرى أن أدني من النسوة فرزجة (شيء تتداوى به النساء) تسقط الجنين، وأحفظ نفسي في تدبيري وصناعتي على الزكاة والطهارة، ولا أشق أيضاً عمَّن في مثانته حجارة، ولكن أترك ذلك إلى من كانت حرفته هذا العمل. وكل المنازل التي أدخلها إنَّما أدخل إليها لمنفعة المرضى وأنا بحال خارجة عن كل جور وظلم وفساد إرادي مقصود إليه في سائر الأشياء، وفي الجماع للنساء والرجال، الأحرار منهم والعبيد. وأمَّا الأشياء التي أعاينها في أوقات علاج المرضى أو أسمعها، في غير أوقات علاجهم في تصرُّف الناس من الأشياء التي لا يُنطق بها خارجاً فأمسك عنها. وأرى أنَّ أمثالها لا ينطق به.

فمُن أكمل هذه اليمين ولم يفسد شيئاً كان له أن يكمل تدبيره وصناعته على أفضل الأحوال وأجلها، وأن يحمده جميع الناس فيما يأتي من الزمان دائماً، ومن تجاوز ذلك كان بضده)[١٧].

ومن أفضال أبقراط أنَّه سما بالطب إلى منزلة رفيعة ومكانة عظيمة فأوصى بأن يكون الطبيب طاهراً ومحموداً وفاضلاً ويعالج مرضاه دون أن يلتجيء إلى الإجراءات الكهنوتية واللاهوتية مما جعل الطب منفصلاً عن رجالات الدين وعلماً قائماً على حقائق علمية ولو أنَّه كان يخلطه بآرائه الفلسفية. ووضع أيضاً صفات للطبيب، وبهذا الصدد فقد جاء في كتاب «ابن النفيس»: (ثم وضع ـ أي أبقراط ـ الوصية لتعريف ما يجب أن يتصف به الطبيب... فقال: (الطبيب يجب أن يكون في جنسه حرَّاً وفي طبعه جيِّداً حديث السن، معتدل القامة، متناسب الأعضاء، جيِّد الفهم، حسن الحديث، صحيح الرأي، عفيفاً، شجاعاً، غير محب للفضة، مالكاً نفسه عند الغضب، مشاركاً للعليل، مشفقاً عليه، حافظاً أسراره، محتملاً للشتيمة لأنَّ قوماً من المبرسمين وأصحاب الوسواس السوداوي

---

(١٧) أنظر: «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»، تأليف ابن أبي أصيبعة، ص ٤٥.

يقابلوننا بذلك وينبغي أن نحتملهم عليه، ولا يستقصي قص أظافير يديه ولا يتركها تعلو على أطراف أصابعه ويجب أن تكون ثيابه بيضاء نقية ولا يكون في مشيه مستعجلاً لأنَّ ذلك دليل على الطيش ولا متباطئاً لأنَّه يدل على فتور النفس وإذا دُعي إلى المريض فليقعد متربِّعاً ويختبر منه حاله بسكون وتأنٍّ لا بقلق واضطراب)[١٨].

وهناك فقرة من القسم أثارت جدلاً حول طابع القسم اللاهوتي وهل كان الغرض منه الاحتفاظ بالطب على أنَّه مذهب سرِّي مقصور على بعض المريدين، وها هي الفقرة: (وأشرك أولاد المعلِّم لي، والتلاميذ الذين كتب عليهم الشرط وأحلفوا بالناموس الطبي في الوصايا والعلوم وسائر ما في الصناعة وأمَّا غير هؤلاء فلا أفعل به ذلك).

أمَّا ابن أبي أصيبعة، فقد ذكر في كتابه: (فلمَّا نظر أبقراط في صناعة الطب ووجدها قد كادت أن تبيد لقلَّة الأبناء المتوارثين لها من آل أسقليبيوس رأى أن يذيعها في جميع الأرض وينقلها إلى سائر الناس، ويعلِّمها المستحقين لها حتى لا تبيد وقال: (إنَّ الجود بالخير يجب أن يكون على كل أحد يستحقه قريباً كان أو بعيداً)[١٩].

وأبقراط يسمَّى أبا الطب لأنَّه فصل الطب عن الخرافات والسحر وأسَّسه على قواعد علمية وأوجب عدم التحليق في نظريات خيالية تعتمد على الجدل (الديالكتيك) في معالجة المرضى لأنَّ علم الطب علم يعتمد على المراقبة السريرية (الأكلينيكية) والتجارب العلمية التي تكشف أسباب وعلاج المرض. ومجمل نظرية أبقراط عن المرض هي كما يلي نقلاً عن «الموسوعة العربية الميسرة»: (أبقراط... ومجمل نظريته عن المرض أنَّ الجسم يحتوي على أربعة أخلاط: الدم، والبلغم، والسوداء والصفراء، وأنَّ علاقة بعض هذه الأخلاط ببعض تقرِّر صحة المرء ومزاجه. وقد ثبت خطأ النظرية. بيد أنَّ عنايته بمراقبة أحوال المريض جعلته يدرك كثيراً من علامات المرض كالتعبير المرتسم على الوجه عند دنو الأجل وهو ما يعرف (بالوجه الأبقراطي) وخضخضة العصارات في الصدر)[٢٠].

---

(١٨) أنظر: «ابن النفيس» د. بول غليونجي، ص ٢٩.

(١٩) أنظر: «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»، ص ٤٤.

(٢٠) أنظر: «الموسوعة العربية الميسرة»، ط ٢ ـ ص ٧.

وقد قيل إنَّ إسم أبقراط معناه ضابط الخيل وقيل معناه ماسك الصحة وقيل ماسك الأرواح وأصل إسمه اليوناني أيفوقراطيس وخفَّفه الناس فسُمِّي بقراط وأبقراط.

ومن كتب أبقراط: «طبيعة الإنسان» و«تقدمة المعرفة» و«الحكم الأبقراطية» و«الأهوية والأمواء والأماكن» و«كتاب الأجنَّة» و«كتاب طبيعة الإنسان» و«كتاب الفصول» و«كتاب الأمراض الحادة» و«كتاب أوجاع النساء» و«كتاب الغذاء» و«كتاب الكسر والجبر» و«كتاب أوجاع العذارى» و«كتاب في نبات الأسنان» و«كتاب ناموس الطب» وهو كتاب الوصية المعروفة بترتيب الطب، ذكر فيها ما يجب أن يكون عليه الطبيب من الشكل والزي والترتيب. و«كتاب جراحات الرأس» وهنالك كما يُقال حوالي ثلاثين كتاباً لأبقراط.

وبعد أن توفي أبقراط خلَّف حوالي أربعة عشر من التلاميذ والأولاد. وأمَّا أولاده فكانوا أربعة وتلاميذه كانوا عشرة.

وقد كان لأبقراط إبنة تسمَّى مالانا أرسا وكانت بارعة في صناعة الطب.

٣ ـ جالينوس

١٣٠ ـ ٢٠٠ م.[٢١] أو ١٣١ ـ ٢٠١ م.[٢٢]

طبيب يوناني له اكتشافات بعلم التشريح التي وجدها وتوصَّل إليها بتشريح أجسام الحيوانات واشتهر أيضاً بعلم الفسيولوجيا وأوضح أنَّ الشرايين تحمل الدم لا الهواء وله أبحاث عن الأعصاب والمخ والنبض والحبل الشوكي.

وقد ألَّف العديد من الكتب وجاء في «الموسوعة العربية الميسرة»: (.. وينسب إلى جالينوس خمسمائة مؤلَّف أغلبها في الطب والفلسفة وبقي من مؤلَّفاته الطبية ثلاثة وثمانون على الأقل... وظلَّ جالينوس حتى القرن ١٦ مرجعاً...)[٢٣].

ويعتبر جالينوس من أكبر مراجع أطباء العرب. وُلد جالينوس في مدينة برجام التي

---

(٢١) أنظر: «الموسوعة العربية الميسرة»، ط ٢ ـ ص ٥٩٧.

(٢٢) أنظر: «المنجد في الأعلام»، ط ٢٤، ص ٢٠٦.

(٢٣) أنظر: «الموسوعة العربية الميسرة»، ط ٢ ـ ص ٥٩٧.

تقع شمالي غربي آسيا الصغرى وحكمتها أسرة إغريقية منذ حوالي ٣٠٠ ق. م. وأصبحت بسلطة تلك الأسرة مملكة مستقلة لها سلطانها العظيم الشأن. وازدهرت فيها الحضارة الإغريقية وخصوصاً في القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد. وكان فيها مكتبة عظيمة كبيرة تلي في أهميتها مكتبة الإسكندرية. وقد درس جالينوس في اليونان وآسيا الصغرى ومدرسة الطب في الإسكندرية، وعمل جرّاحاً لمدرسة المصارعين في مدينة برجامون ثم رحل إلى روما ونبغ في صناعة الطب وأصبح من المشهورين فاختاره الأمبراطور الروماني مرقس أوريليوس طبيباً له ولبلاطه.

لقد اشتهر جالينوس بعلم التشريح والفسيولوجيا وشرّح أجسام الحيوانات ولم يشرّح جسم الإنسان لأنَّ اليونانيين كانوا يحترمون جسم الإنسان ويقدّسونه. ويقال إنَّ جالينوس قد شرّح قرداً وهو في مدرسة الطب بالإسكندرية ولكنَّه لم يفهم الدورة الدموية جيّداً وبهذا الصدد فقد جاء في كتاب « شمس العرب تسطع على الغرب »: (لا شكَّ أنَّ فكرة الدورة الدموية لم تخطر ببال جالينوس ولكن نظريته تشير إلى ما يلي: (إنَّ الدم يتولَّد في الكبد ومنه ينتقل إلى البطين الأيمن في القلب حيث تجري تنقيته وتطهيره من الرواسب بواسطة الحرارة الموجودة أي (Pneuma) ثم يسري بعد ذلك في العروق إلى مختلف أعضاء الجسم فيغذيها، وأنَّ بعضه يدخل البطين الأيسر عن طريق مسام في الحجاب الحاجز حيث يمتزج بالهواء الذي يأتي من الرئتين وكان هذا المزيج يسمَّى بالروح الحيوي الذي ينساب في الشرايين إلى مختلف أنحاء الجسم ومن البطين الأيمن يجري قسم من الدم النظيف في أوردة الرئة بهدف إيصال الغذاء لها)[٢٤].

ويقول جالينوس إنَّ هنالك ثلاثة أرواح. الروح الطبيعية تتولَّد بالكبد وبمرورها في القلب تختلط بالهواء فتتحوَّل إلى الروح الحيوية التي تتحوَّل بدورها إلى الروح الحيوانية عندما تبلغ الدماغ وقد أخذ العرب هذه النظرية وتوسَّعوا فيها.

ومن كتب جالينوس كتاب « الفرق الطبية » و« كتاب الصناعة الصغيرة » و« كتاب النبض الصغير » و« كتاب النبض الكبير » و« كتاب القوى الطبيعية » و« كتاب العلل

---

(٢٤) أنظر: « شمس العرب تسطع على الغرب »، د. زيغريد هونكه ـ ترجمة فاروق بيضون وكمال الدسوقي ـ ص ٢٦١ ـ ٢٦٢.

والأمراض » و« كتاب الحميات » و« كتاب تدبير الأصحاء » و« كتاب القوى الطبيعية » و« كتاب التشريح الصغير » وله غير ذلك من الكتب.

ومن الأطباء المشهورين بعد وفاة جالينوس أصطفن الإسكندراني وأنقيلاوس الإسكندراني وجاسيوس الإسكندراني ومارينوس الإسكندراني وطيماوس الطرطوسي وأريباوس ولُقّب بالقوابلي لأنّه كان من أمهر الأطباء في أمراض النساء والتوليد. ومنهم أيضاً نيطس ونارسيوس الرومي.

وممن كان قريباً من ذلك الوقت فيلغريوس وله العديد من الكتب والمقالات ومنها مقالة فيما يعرض اللثة والأسنان.

٤ ـ يولس الأجيني

القرن السادس الميلادي

طبيب وجرّاح شهير بأمراض النساء والجراحة النسائية. ولد يولس الأجيني في جزيرة أجينا القريبة من سواحل أثينا ومولده سنة ٥٢٦ م.[٢٥].

لقد عاش يولس في مدينة الإسكندرية التي دخلها الإسلام بقيادة عمرو بن العاص سنة ٢٢ هـ / ٦٤٢ م. وكانت مركزاً للتعليم وفيها مدرسة للطب يؤمّها جميع العلماء. فتعلّم يولس فيها وتخرّج كجراح شهير في الجراحة النسائية وأصبح متضلّعاً وله دراية عظيمة في تلك الجراحة وابتكر أشياء عديدة في ذلك العلم. وكان ظهور الطبيب يولس في زمن يسبق قليلاً دخول العرب إلى مصر سنة ٢٢ هـ / ٦٤٢ م. كما يقول الدكتور السامرائي. ولشهرته في الجراحة النسائية فلقد سمّاه الأطباء من العرب (يولس القوابلي) وبهذا الصدد فقد جاء في كتاب « الأمراض النسائية في التاريخ القديم وأخبارها في العراق الحديث »: (يولس الأجيني... كتب في كل مواضيع التوليد المتعارف عليها يومئذ سوى عملية تدوير الجنين Version. ولشدة تعلّق العرب بآرائه فإنّهم أهملوا ذكر هذه العملية مثلما أهملها يولس وبقيت في النسيان حتى القرن السادس عشر، فبعثها إلى

---

(٢٥) أنظر: « الأمراض النسوية في التاريخ »، ص ٢٩.

الوجود المولّد الفرنسي (أمروا باري) المتوفي سنة ١٥٦٠. وبحث يولس في نزر الطمث وهي حالة مرضية تكثر بين الفتيات، ونصح لمعالجتها تناول طبيخ الحلبة مع العسل، واستعمال تحاميل مهبلية من ورق المزرنجوش، ونصح الحبلى التي تشكو من تقلّب النفس والقيء وخفقان القلب، وبطلان الشهوة إلى الطعام برياضة المشي وتجنّب الأطعمة الحلوة.

وقال يولس الأجيني في عفل الرحم Inverion: (إنَّ الرحم ينتو ويخرج إلى خارج وما أقل ذلك. ويعرض إمَّا من سقوط المرأة من موضع عال فتنشق الصفافات التي تحبس الرحم، وإمَّا بجذب المشبمة بعنف فيجذب الرحم معها. كما يكون في عسر الولادة وجذب الجنين الميت على غير حزن (بلا رفق أو اهتمام) أو لاسترخاء الجسد كله لفزع شديد. وذلك أكثر ما يكون في المسنات، وإنَّما يزلق بعض الرحم. وقال بعض الناس إنَّه قد يخرج كله، وأنا لم أرَ ذلك ولا أدري كيف يمكن أن يثبت ويرجع إذا زلق كله)[٢٦].

٥ ـ إيتوس الأمدي (البكري)

وُلِد إيتوس في ديار بكر وهو يوناني الأصل عاش في القرن السادس الميلادي.

لقد تعلّم إيتوس البكري الطب في مدرسة الطب في الإسكندرية وأصبح طبيباً في بلاط الأمبراطور جستنيان الأول (٥٢٧ ـ ٥٦٥ م.) البيزنطي.

ولقد اهتم الأطباء العرب بكتابه الشهير الذي يبحث في الجراحة النسوية وأمراضها وبالتوليد أيضاً. ويشمل هذا الكتاب على ما بحثه اليونانيون في مضمار الأمراض النسائية والتوليد حتى أيام إيتوس البكري. وبهذا الصدد فقد جاء في كتاب «الأمراض النسائية في التاريخ القديم وأخبارها في العراق الحديث»: (إيتوس الأمدي أو الديار بكري... له كتاب حسن التبويب ضمَّنه فسلجة الرحم وتشريحه وأسباب العقم وعلاجه، وعلامات الحمل واختلاطاته، وأنواع الولادة وطرق مداراتها، كما أدخل فيه طب الطرق البولية،

---

(٢٦) أنظر: «الأمراض النسائية في التاريخ القديم وأخبارها في العراق الحديث»، د. كمال السامرائي، استاذ ورئيس لقسم الأمراض النسائية والتوليد في كلية طب بغداد ـ ص ٢٩ ـ ٣٠. (المصدر ـ الرازي ـ «الحاوي في الطب»، ج ٩ ـ ص ١٨٤.

والثديين وأمراض الجلد، والاعتناء بتجميله كجزء مهم وبارز في أنوثة المرأة. وبالرغم من وفرة معلومات إيتوس الأمدي التي يمكن أن تكون وحدها كافية لعلاج المرضى فإنَّه قد استعمل إلى جانب أدويته العلمية التعاويذ والصلوات في علاج بعض الحالات المرضية النسائية والولادية. ويبدو أنَّ هذه النزعة الدينية في العلاج كانت من سمة ذلك العصر المسيحي الذي سيطرت عليه الأفكار الروحية وأدعية الرهبان)[٢٧].

ويقول ابن أبي أصيبعة في كتابه: (أطنوس الآمدي صاحب الكناش المعروف ببقوقونا...)[٢٨] وقد صنَّفه ابن أبي أصيبعة في كتابه «طبقات الأطباء» من طبقات الأطباء الإسكندرانيين نسبة للإسكندرية.

---

(٢٧) أنظر: «الأمراض النسائية في التاريخ القديم وأخبارها في العراق الحديث»، ص ٣٠ ـ ٣١.

(٢٨) أنظر: «طبقات الأطباء»، ص ١٥٩.

ب) أطباء المصريين القدماء

١ - إيمحوتب

(وعرف الطب في مصر القديمة. وأوّل طبيب معروف لنا هو إيمحوتب الذي كان وزيراً ومهندساً في أيام الملك زوسر. وجاء ذكر طبيب آخر يدعى ايرى في مقبرة بالقرب من إهرامات الجيزة، كما وصل إلينا اسم طبيب يدعى خوى كان يحمل الألقاب الآتية: رئيس جميع الأطباء في مصر العليا والسفلى، ورئيس كهنة هرم الملك تيتي ووجدت مدارس الطب في المعابد الكبيرة في هليوبولس، وفي معبد أنوب بالوجه البحري ومعبد إيزيس في قفط في الوجه القبلي، وفي منفيس وتانيس ودامت شهرة مدرسة تانيس التي كانت تحت رعاية المعبودة نيت إلى أن أُغلقت عندما خضعت مصر لحكم الفرس...)[٢٩].

علاوة على ذلك لقد قيل عن إيمحوتب في المصدر السابق: (إيمحوتب: وزير من المصريين القدماء. شغل منصب الوزارة أيام الملك (زوسر) أوّل ملوك الأسرة الثالثة، إمام البنائين والمشتغلين بالطب. بنى هرم سقارة المدرج (حـ ٢٧٨٠ ق. م.) وهو أوّل بناء من نوعه عرف في تاريخ العمارة. هالت سيرته وأعماله عظماء الإغريق فعدُّوه إلٰهاً للطب والسحر والفلك وساووه بإلٰههم (أسكليبيوس) ثم عبدوه إلٰهاً وأحد ثالوث منف المقدَّس...)[٣٠].

أمَّا كتاب «المنجد[٣١] في الأعلام» فيقول: (أمحوتب: مهندس فرعون جوسر (٢٧٧٨ - ٢٦٠٠ ق. م.) أوّل من استعمل الحجارة في بناء الأهرام (سقارة).

---

(٢٩) أنظر: «الموسوعة العربية الميسرة»، ١٩٧٤، ص ١١٤٩.

(٣٠) المصدر السابق، ص ٢٩١.

(٣١) أنظر: «المنجد في الأعلام»، ط ٢ - ص ٥٠.

ومن ألقاب إيمحوتب، الطبيب جالب السلام ويُقال إنَّه ولد سنة ٣٠٠٠ ق.م.

٢ ـ أمنحوتب بن حابو

(كان من أئمة الطب) هذا ما قالته «الموسوعة العربية الميسرة»[٣٢].

وقالت أيضاً: (أمنحوتب بن حابو ثاني اثنين رفعهما المصريون القدماء فوق مراتب البشر لما خلَّفاه في مجال البناء والعمارة مما عُدَّ من المعجزات، أوَّلهما إيمحوتب. عاش في زمان أمنحتب الثالث، الذي بلغ فن العمارة في عهده شأواً رفيعاً.

قدَّسه الناس بعد وفاته فكانوا يحجون إلى مزار له بالدير البحري التماساً للشفاء، ذلك لأنَّه كان كسلفه من أئمة الطب).

أمَّا أمنحتب الثالث والمسمَّى أمينوفيس الثالث (١٣٩٨ ـ ١٣٦١ ق.م.) فهو تاسع فراعنة الإسرة الثامنة عشرة وأصبح قعيداً في أواخر أيامه فأدارت دفَّة الحكم زوجته (تى) وجاء في كتاب «المنجد في الأعلام»: (أمينوفيس Amenophis أو أمينحوتب: إسم لأربعة فراعنة من السلالة ١٨ في مصر منهم أمينوفيس ١ً (١٥٥٨ ـ نحو ١٥٣٠ ق.م.). دخلت جنوده بلاد الشام وفلسطين وفينيقيا والسودان، وأمينوفيس ٣ً (١٤٠٨ ـ نحو ١٣٧٢) اشتهر بأعماله العمرانية (هيكل الأقصر). وأمينوفيس ٤ً (١٣٧٢ ـ نحو ١٣٥٤): قام بإصلاح ديني خطير واستبدل عبادة آتون بعبادة عمُّون، جعل تل العمارنة عاصمة له واتخذ إسم أخناتون...)[٣٣].

٣ ـ سنختناخ

من أطباء المصريين القدماء الذين كان لهم أثر طبي هو الطبيب سنختناخ الذي عالج أنف الملك فشفي من مرضه، فبنى له أثراً صغيراً على ضفاف نهر النيل في سقارة. وهي قرية من أشهر قرى محافظة الجيزة في مصر. واسم سقارة مشتق من (صقر) كما يقول بعض المؤرِّخين وهو معبود يحرس القبور.

وقد كان سنختناخ رئيس أطباء فرعون الأسرة الخامسة.

---

(٣٢) أنظر: «الموسوعة العربية الميسرة»، ط ٢ ـ سنة ١٩٧٢، ص ٢٢٧.

(٣٣) أنظر: «المنجد في الأعلام»، ط ٢ ـ سنة ١٩٦٩ ـ ص ٥٢.

٤ ـ الطبيب خوى والطبيب ايرى

خوى طبيب من المصريين القدماء، تمتَّع بألقاب تدلُّ على مكانته الدينية والطبية، ومن هذه الألقاب هي: (رئيس جميع الأطباء في مصر العليا والسفلى) وكذلك دعوه: (رئيس كهنة هرم الملك تيتي).

وبهذا الصدد فقد جاء في «الموسوعة العربية الميسرة» ما يلي: (... وصل إلينا إسم طبيب يدعى خوى كان يحمل الألقاب الآتية: رئيس جميع الأطباء في مصر العليا والسفلى، ورئيس كهنة هرم الملك تيتي...) وتستطرد «الموسوعة العربية الميسرة»: (... وجاء ذكر طبيب آخر يدعى ايرى في مقبرة بالقرب من إهرامات الجيزة)[٣٤].

(٣٤) أنظر: «الموسوعة العربية الميسرة»، ط ٢ ـ ص ١١٤٩.

الفصل الرابع
الطب في العصر الجاهلي

كان العصر الذي سبق الإسلام يدعى بالعصر الجاهلي: (وقد يكون اشتقاق هذا الإسم من الجهل وهو ضد العلم لما كان يغلب فيه من السفه والفخر بالمال والأنساب والإمعان في سفك الدماء والعصبية الحادة ونحو ذلك مما كرهه الإسلام ونفر منه)[1].

وكان العرب يدينون في الجاهلية بأديان مختلفة. والوثنية كانت الديانة السائدة بينهم. أي عبادة الأصنام والأوثان كاللات والعزى ومناة التي نصبوها في الكعبة المشرفة بمكة المكرمة، وقدَّموا لها القرابين وقدَّسوها.

وعلاوة على تلك الأصنام كانت هنالك أصنام أخرى تعبد تخص بعض القبائل في شتى أنحاء الجزيرة العربية.

أمَّا الأقلاء من العرب، فانتشرت بينهم ديانات أخرى كالنصرانية التي انتشرت بين غساسنة الشام ومناذرة الحيرة وأهل نجران.

أمَّا اليهودية فقد انتشرت في يثرب «المدينة المنوَّرة»، وكذلك في اليمن وخصوصاً في القرن السادس للميلاد. وقد نشب خلاف شديد بين النصرانية واليهودية. وأكبر دليل على ذلك قصة أصحاب الأخدود التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في قرآنه المجيد[2]. وبهذا الصدد جاء في كتاب «السيرة النبوية لابن هشام»: (ذو نواس... آخر ملوك حمير وهو صاحب الأخدود... وبنجران بقايا من أهل دين عيسى بن مريم عليه السلام... فسار إليهم ذو نواس بجنوده فدعاهم إلى اليهودية، وخيَّرهم بين ذلك والقتل فاختاروا القتل، فخدَّ لهم الأخدود، فحرق من حرق بالنار وقتل بالسيف، ومثَّل بهم، حتى قتل منهم قريباً من عشرين ألفاً. ففي ذي نواس وجنده هؤلاء أنزل الله تعالى على

---

(١) أنظر: «جواهر الأدب»، تأليف السيد أحمد الهاشمي ـ الجزء ٢ ـ مطبعة السعادة بمصر ـ الطبعة ٢٦ ـ ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م. ـ ص ٦.

(٢) سورة البروج، الآيات ٤ ـ ٨.

رسوله سيّدنا محمد ﷺ : ﴿قتل أصحاب الأخدود ★ النار ذات الوقود ★ إذ هم عليها قعود ★ وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ★ وما نَقَموا منهم إلاّ أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾[٣]. وجاء في كتاب « مختصر تفسير ابن كثير »: (... وعن ابن عباس قال: ناس من بني إسرائيل خدُّوا أخدوداً في الأرض. ثم أوقدوا فيه ناراً، ثم أقاموا على ذلك الأخدود رجالاً ونساءً فعرضوا عليها)[٤]. وجاء في « المنجد في الأعلام »: (أصحاب الأخدود هم النصارى الذين اضطهدهم ملك اليمن ذو نواس اليهودي فحاصرهم في نجران ثم عذّبهم بالنار والحديد)[٥].

لقد كان معظم العرب يعتمدون على الكهنة والعرّافين في شؤون حياتهم فيعرضون عليهم أمورهم ليستشيروهم ويستفسروهم عن أحوالهم ويستطبوهم في أمراضهم. لأنَّ الجاهليين كانوا يعتقدون أنَّ الكهنة والعرّافين كانوا يعرفون الغيب وبيدهم الشفاء من أمراضهم بالتكهُّن والكهانة التي هي ادعاء بعلم الغيب ومستقبل الزمان وأسرار الإنسان. أو بالعرافة التي ربَّما كانت تختص بعلم الغيب بالأمور الماضية والبعض يعرّفها بأنَّها الاستدلال على الأمور الماضية أو الحاضرة أو المقبلة والإرشاد عن الضالة.

فكان الكاهن سواء كان رجلاً أو إمرأة أو العرّاف يعالج مرضاه بالدجل والشعوذة والتمائم والتّوَلة والرُّقى والتنجيم وأبراج الكواكب والسحر والتطيُّر وشقّ بطون الطير وبمناجاة روح أو شيطان أو ملك وباستعمال أدوية أو بالأحرى وصفات ما أنزل الله بها من سلطان تشمئز منها النفوس وربما سببت الموت لمستعمليها.

والتمائم عبارة عن خرزة تعقد في العنق أو قلادة تعلّق على الأولاد وأصحاب المرض يتّقون بها المرض والموت. والتّوَلة بكسر التاء وفتح الواو: السحر وشبهه. وخرزة تحبِّب المرأة إلى زوجها.

والتنجيم كان يقصد به الإخبار بالغيب ونسبة التأثيرات من خير وشر والأمراض إلى النجوم.

---

(٣) أنظر: « السيرة النبوية لابن هشام »، حقّقها مصطفى السقا وابراهيم الإبياري وعبد الحفيظ الشلبي ـ مطبعة الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٥٥ هـ ـ ١٩٣٦ م. ـ ص ٣٢ ـ ٣٧.

(٤) أنظر: « مختصر تفسير ابن كثير »، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني ـ مجلّد ٣ ـ ط ٧ ـ ص ٦٢٣.

(٥) أنظر: « المنجد في الأعلام »، ص ٣٦.

أمَّا التطيُّر فهو التفاؤل والتشاؤم وأصلاً كان يقصد به التفاؤل بالطير ثم استعمل لكل ما يتفاءل به أو يتشاءم.

وكان العرَّاف أحياناً يشق بطون الطير وينظر ويتفقَّد أعضاءها الداخلية وخصوصاً كبدها وقلبها، فإن كانت تلك الأعضاء مريضة دلَّت على استعصاء وتعقُّد مرض السائل وصعوبة علاجه وشفائه. وإن كانت حالة تلك الأعضاء سليمة دلَّت على قرب شفاء المريض السائل.

وقد كان من الكهَّان المشهورين في ذلك الوقت شق أتمار وسطيح الذئبي، أمَّا من الكواهن المشهورات فكانت طريفة الخير وسلمى الهمدانية. ومن العرَّافين عرَّاف نجد الأبلق الأسدي وعرَّاف اليمامة رباح بن عجلة.

ولكن عندما جاء الإسلام حارب الشعوذة والمشعوذين والدجل والدجالين وجميع أساليبهم، فورد عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه أنَّه قال: «من علَّق تميمة فقد أشرك». وقال: «التمائم والرُّقى من الشرك»... و«لكلِّ داء دواء فإذا أُصيبَ دواء الداء بَرَأ بإذن الله عزَّ وجلَّ» و«ما أنزل الله من داء، إلاَّ أنزل له شفاء»... و«تداوَوْا: فإنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يضع داء إلاَّ وضع له شفاء غير داء واحد». قالوا: ما هو؟ قال: «الهرم» و«إنَّ الله لم يُنزل داء، إلاَّ أنزل له شفاء: عَلِمَهُ من عَلِمَهُ، وجَهِلَهُ من جَهِلَهُ...».

لم يكن الطب في الجاهلية مقصوراً على الكهنة والعرَّافين والسحرة والمنجِّمين والطلاسم والتمائم وذبح القرابين حول الكعبة وفي المعابد. بل لقد كان للعرب في عصر الجاهلية شيء قليل من الطب ومعلومات أولية وتجارب ينقصها التعمُّق والاستقصاء. وخصوصاً المعروف أنَّ العرب ذوو ذكاء وفطنة وفراسة وحكمة ولهم حضارات عريقة وتشهد بذلك دولهم العظيمة كالتبابعة في اليمن والمناذرة والغساسنة في الشمال. ولا بدَّ وأن يكونوا على حظ غير قليل من العلوم والطب الضروري للإنسان منذ الخليقة. وخصوصاً لا بدَّ وأن تسرَّب إليهم بعض المعلومات الطبية من البلاد التي تتاخمهم ولهم معها علاقات تجارية وسياسية وطيدة كبلاد الفرس التي كان فيها حينذاك أكبر معهد طبي في العالم وهو مدرسة جُنديسابور الطبية وبيمارستانها العظيم اللذان يحويان أساطين الطب وعلماء الصيدلة

من إغريق وهنود ونساطرة. والنساطرة هم أتباع نسطور السوري الأصل الذي أصبح بطريركاً على القسطنطينية سنة ٤٢٨ ب. م. الذي فرَّ في آخر مرحلة من تشريده إلى جُنديسابور وذلك بعد أن طرد من منصبه لاختلاف عقائدي مع الكنيسة فحمل معه وبعض أتباعه عدداً من المخطوطات الجلدية من بينها تلك التي تحتوي على مبادىء أبقراط إلى جُنديسابور.

حقاً لقد كان من بين الشعب العربي الجاهلي آنذاك أطباء مؤهَّلون تخرَّجوا من مدرسة جُنديسابور الطبية ومنهم الحارِث بن كَلَدَة الذي لم يعرف تاريخ مولده أمَّا تاريخ وفاته فكان سنة خمسين هجرية توافق سنة ست مائة وسبعين ميلادية وكذلك ابنه النَّضر بن الحارِث بن كَلَدَة (... ـ ٢ هـ / ٦٢٤ م).

ومن الذين كانوا يتعاطون الطب: ابن حذيم التَيْميّ[٦]: (الطب الإنساني والحيواني ـ البيطرة)، وقد مارسه من العرب كثيرون ومن مشهوريهم (الحارِث بن كِلدَة الثقفي وابن حذيم التَيْميّ).

ومن الذين كان لهم شهرة في صناعة الطب في الجاهلية الشمردل بن قباب الكعبي[٧].

أيضاً من الذين مارسوا الطب في الجاهلية (ضماد بن ثعلبة الأزدي من أزد شنؤة)[٨].

وكان من أطباء الجاهلية ومن الذين يجيدون صناعة الجراحة وقد برع فيها وعرف بلقمان زمانه: (حذق أطباء الجاهلية صناعة الجراحة ومن أشهر جرَّاحيها رمثة التميمي الذي عرف بلقمان زمانه)[٩]... (ابن أبي رِمثه بكسر الراء... كان مزاولاً لأعمال اليد والجراحة بارعاً في ذلك...)[١٠].

---

(٦) أنظر: «جواهر الأدب»، تأليف السيد أحمد الهاشمي ـ الطبعة ٢٦، سنة ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م. ـ الجزء ٢ ـ ص ٢٢.

(٧) أنظر: «كتاب الإصابة في تمييز الصحابة»، ابن حجر العسقلاني ـ الطبعة الأولى ـ سنة ١٣٢٨ هـ ـ مطبعة السعادة بمصر ـ دار صادر ـ الجزء ٢ ـ ص ١٥٦.

(٨) المصدر السابق، ص ٢١٠. وأنظر أيضاً: كتاب «منتقى النقول في سيرة أعظم رسول»، تأليف الأستاذ حامد محمود بن محمد بن منصور ليمور ـ الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م. ـ ص ١٨٥.

(٩) أنظر: «خبرات في التمريض»، بقلم هيلين رايت ـ ترجمة الدكتورة سعاد ماهر.

(١٠) أنظر: «العرب في حضارتهم وثقافتهم»، تأليف الأستاذ د. عمر فروخ ـ الطبعة ٢ ـ ابريل ١٩٨١ ـ ص ١١٤.

(ابن أبي رمثة التميمي: كان طبيباً في عهد رسول الله ﷺ . مزاولاً لأعمال اليد وصناعة الجراح...)[١١].

علاوة على ذلك فإنَّه لا بدَّ وأن يكون عند العرب وهم أهل فطنة وذكاء علم ومعرفة ببعض العلوم الطبية التي أرشدتهم إليها التجارب التي ألحَّت عليهم اتباعها لمنفعتهم ولدرء آلام الأمراض عنهم ولكن الزمن لم يحفظ لنا منها إلاَّ آثاراً قليلة. فلقد ورد أن الجاهليين قد استعملوا السكين المعقَّمة بحميها في النار لقطع الزوائد اللحمية في البدن واستعملوا الكي للمعالجة إذا لم تنجع طرق المعالجة الأخرى والمثل السائد عندهم يقول: (آخر الدواء الكي).

كذلك في أشعارهم لقد ذكروا المسواك الذي هو أداة لنظافة الأسنان فهاكم امرؤ القيس الشاعر في عصر الجاهلية يقول في معلَّقته التي مطلعها:

قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ بسقط اللوى بين الدخول فحومل(*)

ثم يستطرد امرؤ القيس فيقول:

وتعطي برخصٍ غير شتن كأنَّه أساريع ظبي أو مساويك إسحل(**)

وجاء ذكر المسواك في مراجع أخرى مثل «السيرة النبوية» تحت عنوان (وثوب خَلْنيعة ذي شناتر على ملك اليمن) فجاء: (... قد أخذ مسواكاً فجعله في فيه...)[١٢] (ويقصد هنا بفيه خَلْنيعة).

كذلك ورد في شعر بعض الشعراء من الجاهلية وصف لجماجم وقلوب الحيوانات فهاكم طرفة بن العبد يقول في معلَّقته يصف جمجمة وقلب الجمل:

---

(١١) أنظر: «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»، ابن أبي أصيبعة ـ شرح وتحقيق د. نزار رضا ـ منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ١٩٦٥ ـ ص ١٧٠ ـ ١٧١.

(*) اللوى ما التوى من الرمل، أو استرقّ منه، وسقط اللوى منتهاه، والدخول وحومل كلها أسماء أماكن يقع بينها سقط اللوى وفيه منزل الحبيب.

(**) العطو: التناول ـ ورخص: ليِّن ناعم وهو وصف للبنان ـ وشتن: خشن ـ وأساريع: جمع أسروع، وأسروع الظبي عَصَبَةٌ تستبطن رجله ويده ـ والإسحل: شجر يستاك به.

(١٢) أنظر: «السيرة النبوية»، ابن هشام ـ الجزء الأول ـ ص ٣٠.

وجمجمة مثل العلاة كأنّما وعى الملتقى منها إلى حرف مبرد(*)

ويستطرد طرفة فيقول في وصف قلب الناقة:

وأروع نباضٌ أحذّ ململم كمرداة صخر في صفيح مصمد(**)

علاوة على تلك الأعمال فإنَّ ختان الأولاد كان معروفاً قبل الإسلام وبهذا الصدد فقد جاء في كتاب « الأمراض النسوية في التاريخ القديم وأخبارها في العراق الحديث »: لقد جاء: (... وكان ختان الصبيان مألوفاً قبل الإسلام ويُروى أنَّ الصحابية الجليلة (أم عطية الأنصارية) ظلّت تمارس هذه العملية بعلم من النبي محمد وأنّه صلوات الله عليه قدَّم لها النصح في هذا الموضوع)[١٣].

أيضاً كان فصد العروق وعلاج الجروح وتحسيم(***) الطعنة من الأمور المتداولة في طب الجاهلية.

وتقول الدكتورة سعاد ماهر في الكتاب الذي ترجمته للعربية وهو كتاب « خبرات في التمريض »: (وقد جاء في كتاب « طبقات الأمم » لأحمد الأندلسي أنَّ العرب في صدر الإسلام لم تعنَ بشيء من العلوم إلاَّ بلغتها ومعرفة أحكام شريعتها حاشا علوم الطب. فإنَّها كانت موجودة عند أفراد منهم غير منكورة عند جماهيرهم، لحاجة الناس طرّاً إليها... عرف العرب في جاهليتهم الكثير من أسماء الأمراض والعقاقير والأدوية. بل والأوصاف الدقيقة للأعضاء الباطنة والظاهرة لجسم الإنسان مما يقطع بتمرّس العرب قبل الإسلام في صناعة الطب والعقاقير... ولم تقتصر معرفة عرب الجاهلية على طب الأبدان، بل برعوا كذلك في طب النفوس والأعصاب. فقد جاء في « الطبقات

(*) الجمجمة يعني هنا جمجمة ورأس الناقة. والعلاة: السندان يضرب عليه الحدّاد. وعى الملتقى يعني جمع منتقى الرأس شبَّهه بحرف المبرد لصلابته.

(**) أورع: فزع ـ نباض: فؤادها ـ أحذ: قليل الشعر. ملمم: أي مجتمع ـ كمرادة: كصخرة ـ الصفيح: الحجارة العريضة ـ مصمد: مصلب.

(١٣) أنظر: « الأمراض النسوية في التاريخ القديم وأخبارها في العراق الحديث »، د. كمال السامرائي الأستاذ ورئيس قسم الأمراض النسائية والتوليد في كلية طب جامعة بغداد والذي منح شهادة العضوية في كلية الجرّاحين النسائيين البريطانية (M.R.C.P.G.)، ص ٣٣. وانظر أيضاً: « معالم القرية في أحكام الحسبة »، ابن الأخوة ـ كمبرج ـ ص ١٦٤.

(***) حسم الداء: قطعه بالدواء ـ وحسم العرق: قطعه ثم كواه لئلاَّ يسيل دمه.

الكبرى» لابن سعد أنَّ طبيباً للأعصاب يُدعى ضماد بن ثعلبة الأزدي من أزد شنؤة قدم مكَّة معتمراً(★) فسمع كفَّار قريش يقولون: محمد مجنون. فقال ضماد: لو أتيت هذا الرجل فداويته فجاءه، فقال: يا محمد إنِّي أداوي من الريح (يريد المس) فإن شئت داويتك لعلَّ الله ينفعك. تشهَّد رسول الله ﷺ وحمد الله وتكلَّم بكلمات فأعجب ذلك ضماداً فقال: أعدها عليَّ فأعادها عليه، فقال: لم أسمع مثل هذا الكلام قط. لقد سمعت كلام الكهنة والسحرة والشعراء فما سمعت مثل هذا الكلام قط، لقد قاموس البحر (يعني قعره) فأسلم ضماد وشهد شهادة الحق وبايع على نفسه وقومه)[١٤].

وتستطرد الدكتورة سعاد في الكتاب السابق الذكر وتقول: (... أمَّا دور المرأة العربية في الجاهلية بالنسبة لصناعة الطب فيكاد يكون مقصوراً على تضميد الجروح وتمريض المرضى ومواساة العليل ومن ثم فقد عرف من قام بهذه الصناعة باسم الآسيات. والمواساة من الناحية اللغوية هي المشاركة الوجدانية. معنى هذا أنَّ المرأة العربية التي كانت تقوم بعملية المداواة والتمريض لم يقتصر عملها على النواحي المادية فحسب، بل شمل كذلك الناحية النفسية الوجدانية وكأنِّي بها من ملائكة الرحمة وهذا أرقى ما وصل إليه علم التمريض في العصر الحديث. ولو أضفنا إلى هذا أنَّ المرأة العربية لم تكن تحترف مهنة التمريض كما أنَّها لم تؤجر عليها بل كانت تزاولها وقت الحروب والشدائد طائعة مختارة. مضحية في سبيل القيام بها على الوجه الأكمل بالنفس والنفيس لعرفنا ما كانت تتمتع به الآسيات من مكانة واحترام في العصر الجاهلي. فقد كانت الآسيات في الجاهلية يصحبن الرجال إلى ساحة القتال فيداوين الجرحى ويحملن الماء ومن أشهرهن أم عمارة بنت كعب الأنصارية، وأم حكيم بنت الحارث، والخنساء أخت صخر وغيرهن).

(★) اعتمر: أحرم بالعمرة.

(١٤) أنظر: «خبرات في التمريض»، هيلين رايت ـ ترجمته إلى العربية الدكتورة سعاد ماهر ـ ص ١.

الفصل الخامس
الطب في العصر الإسلامي

عندما انبثق فجر الإسلام، أسَّس.أرقى وأسمى حضارة عرفتها البشرية بفضل تعاليمه التي حثَّت على الفضيلة والخير والتسامح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمساواة، والعدل، وطلب العلم من المهد إلى اللحد، وجعله فريضة على كلِّ مسلم ومسلمة، وأمر التضلُّع من منهل العلم مهما تكن الظروف.

فقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وقلْ ربِّ زدني علماً﴾[1].

وقال الرسول الأُميّ صلوات الله وسلامه عليه: «طلب العلم فريضة على كلِّ مسلم» رواه ابن ماجه. والمرأة داخلة في هذا التعميم كما يقول الفقهاء، حتى أنَّ بعضهم أضاف إلى متن هذا الحديث فقالوا: «العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة» لأنَّ كلمة مسلم تضم كل من اتصف بالإسلام سواء كان ذكراً أم أنثى.

وعن زِرِّ بن حُبَيْش قال: سمعت صفوان بن عسَّال قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وما من خارج خرج من بيته في طلب العلم إلاَّ وضعت له الملائكة أجنحتها رضا بما يصنع»[2]. رواه الترمذي.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «... من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهَّل الله له به طريقاً إلى الجنَّة»[3]. أخرجه مسلم في حديث (١ : ١٥١٠٤).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاَّ من ثلاث، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[4]. أخرجه مسلم

---

(١) سورة طه، الآية ١١٤.

(٢) أنظر: «فتح القريب المجيب على تهذيب الترغيب والترهيب»، تأليف الشيخ علوي السيد عباس ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر ١٩٣٨ م.

(٣) أنظر: «الترغيب والترهيب»، انتقاء شهاب الدين أحمد بن علي بن حجَر العسقلاني، ضبطه محمد المجدوب ـ الطبعة الأولى ١٩٨٠ م. ـ ص ١٢.

(٤) المصدر السابق، ص ١٢.

وأخرجه ابن ماجه وابن خزيمة من وجه آخر (١ : ٩٩ ، ٢٥).

وعن سهل بن مُعاذ بن أنس عن أبيه أنَّ رسول الله ﷺ قال: « من علَّم علماً فله أجر من عمل به لا ينقص من أجر العامل شيء »[٥] أخرجه ابن ماجه (١ : ١٠١ ، ٣٠).

ولقد أمر الرسول صلوات الله وسلامه عليه بالتداوي. ففي مسند الإمام أحمد، من حديث زياد بن علاقة عن أُسامة بن شريك قال: (كنت عند النبي ﷺ وجاءت الأعراب. فقالوا: يا رسول الله، أنتداوى؟ فقال: « نعم يا عباد الله، تَدَاوَوْا، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يضع داء إلاَّ وضع له شفاء، غير داء واحد ». قالوا: ما هو؟ قال: « الهرم »). وفي لفظ: « إنَّ الله لم يُنزل داء إلاَّ أنزل له شِفاء: عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَه، وجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَه »[٦].

وروى مسلم في صحيحه ـ من حديث ابن الزُّبير عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنَّه قال: « لكل داء دواء فإذا أُصِيب دواء الداء بَرَأ بإذن الله عزَّ وجلَّ »[٧].

وفي الصحيحين، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: « ما أنزل الله داءً إلاَّ أنزل له شفاء »[٨] رواه البخاري ومسلم.

وعن صفية بنت أبي عبيد إحدى زوجات النبي ﷺ قال: « من أتى عرَّافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة »[٩]. رواه مسلم.

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: « من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد(*) »[١٠]. رواه أبو داود وأحمد.

---

(٥) المصدر السابق، ص ١٤.

(٦) أنظر: « زاد المُعاد في هدى خير العباد »، لابن قيِّم الجوزية ـ الجزء الثالث ـ ص ٦٦ ـ المطبعة المصرية ومكتبتها.

(٧) المصدر السابق، ج ٣ ـ ص ٦٦.

(٨) أنظر: « مختار الحسن والصحيح من الحديث الشريف »، اختيار عبد البديع صقر ـ الطبعة الأولى ـ ص ٣٤٨.

(٩) أنظر: « مختار الحسن والصحيح من الحديث الشريف »، اختيار وتعليق عبد البديع صقر ـ ط ١ ـ ١٣٩١ ـ ص ٣٨٦.

(*) أي كلَّما توغَّل في هذا التنجيم كلَّما زاد في السحر والضلال.

(١٠) المصدر السابق، ص ٣٨٦.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنَّ الرسول ﷺ قال: « من تطبَّب ولم يعلم منه طِبّ فهو ضامن »[11]. أخرجه أبو داود(*).

علاوة على ذلك فقد نهى الإسلام عن التطيّر (التفاؤل والتشاؤم) وأصله التفاؤل بالطير ثم استعمل في كل ما يتفاءل به ويتشاءم) وكذلك نهى الإسلام عن التمائم(**).

ونهى الإسلام عن التكهُّن وهو ادعاء علم الغيب ومستقبل الزمان، وأسرار الإنسان.

ونهى الإسلام عن العرافة وهي الاستدلال على الأمور الماضية أو الحاضرة أو المستقبلية والإرشاد عن الضالة والأشياء المسروقة.

ونهى الإسلام عن التنجيم ونسبة التأثير إلى النجوم سواء كان ذلك التأثير خيراً أو شرّاً أو مرضاً.

ونهى الإسلام عن التِّوَلة بكسر التاء وفتح الواو وهي خرزة تحبِّب المرأة إلى زوجها.

وكذلك نهى الإسلام عن السحر وهو إراءة الباطل في صورة الحق والزعم بأن الرُّقى تميت أو تمرض أو تفرّق بين المرء وزوجته... الخ.

من كل ما سبق نرى أنَّ الإسلام أمر بالتداوي والابتعاد عن الشعوذة والدجل والسحر.

وقد كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ عالمة بالطب وبهذا الصدد يقول الإمام ابن الجوزي في كتابه[12] ما يلي: (... عن هشام بن عروة قال: كان عروة يقول لعائشة: يا أمّتا لا أعجبك من فقهك، أقول زوجة رسول الله ﷺ وابنة أبي بكر، ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام العرب. أقول: ابنة أبي بكر، وكان أعلم الناس أو من أعلم الناس. لكن أعجب من علمك بالطب. فضربت على منكبه وقالت: أيْ عروة إنَّ رسول الله ﷺ كان يسقم عند آخر عمره أو في آخر عمره فكانت تقدم عليه وفود من كل وجه فتنعت له الأنعات فكنت أعالجها).

---

(١١) المصدر السابق، ص ٣٨٦.

(*) فهو ضامن: أي مسؤول عن الضرر شرعاً.

(**) هي خرزة تعقد في العنق أو قلادة تعلّق على الأولاد وأصحاب الآفة يتّقون بها المرض والموت.

(١٢) أنظر: « صفة الصفوة »، الجزء الثاني ـ الطبعة الأولى ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م. ـ ص ٣٢ ـ ٣٣.

ويقول الاستاذ عمر رضا كحالة في كتابه[١٣] : (الشفاء بنت عبد الله... قال لها النبي ﷺ : « علّمي حفصة رقية النمل كما علّمْتِها الكتابة »، وأقطعها رسول الله ﷺ داراً عند الكحالين فنزلتها مع إبنها...).

وقد كانت الشفاء بنت عبد الله أخصائية بعلاج مرض جلدي من نوع الأكزيما وهي قروح تظهر في الجلد في الجنبين ويحس المريض من جرائها كأنَّ نملة تعضّه وتدبّ عليه.

ويقول الدكتور علي عبد الله الدَّفاع في كتابه[١٤] : (أم عطية الأنصارية مشهورة كطبيبة في الجاهلية، ولكنها دخلت الإسلام.. فكانت جرَّاحة ماهرة للغاية... رُفيدة اشتهرت بالجراحة اختارها رسول الله ﷺ لعلاج سعد بن معاذ عندما أُصيب برمية في معركة الخندق...).

ولقد شيَّد الرسول ﷺ أوَّل مستشفى حربي عندما ضرب خيمة في مسجده لرُفيدة الأسلمية لتداوي جرحى غزوة الخندق وبهذا الصدد يقول ابن حجَر العسقلاني في كتابه[١٥] : (... سعد بن معاذ لـمَّا أصابه بالخندق فقال رسول الله ﷺ : « إجعلوه في خيمة رُفيدة التي في المسجد حتى أعوده عن قريب »؛ وكانت إمرأة تداوي الجرحى).

وقد كان في عصر الرسول ﷺ من الأطباء الحارث بن كلدة المتوفي سنة ستمائة[١٦] وسبعين ميلادية وقد تخرَّج من مدرسة طب جنديسابور في بلاد فارس. وقد كان الرسول ﷺ يوصي بالتطبُّب عنده. فقد قال ابن حجر العسقلاني في كتابه[١٧] : (.. روى أبو داود من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد عن سعد بن أبي وقاص قال: مرضت فأتاني النبي ﷺ فقال: « إنَّك مفؤود ائت الحارث بن كلدة أخا ثقيف فإنَّه يتطبب... »).

وجاء في كتاب « خبرات في التمريض »[١٨] : (لم تقتصر معرفة عرب الجاهلية على

---

(١٣) أنظر : « أعلام النساء »، ص ٣٠٠ ـ ٣٠١ .

(١٤) أنظر : « أعلام العرب والمسلمين في الطب » هامش ص ٢٤ ـ طبعة أولى .

(١٥) أنظر : « الإصابة في تمييز الصحابة »، الجزء الرابع ـ ص ٣٠٢ .

(١٦) أنظر : « كتاب الأعلام »، تأليف خير الدين الزركلي ـ الجزء الثاني ـ ص ١٥٩ .

(١٧) أنظر : « الإصابة في تمييز الصحابة »، الجزء الأول ـ الطبعة الأولى ـ ص ٢٨٨ .

(١٨) تأليف هيلين رايت، ترجمة الدكتورة سعاد ماهر ـ ص ١ ـ ٢ .

طب الأبدان بل برعوا كذلك في طب النفوس والأعصاب... فقد جاء أنَّ طبيباً للأعصاب يدعى ضماد بن ثعلبة الأزدي... أسلم ضماد وشهد شهادة الحق).

ومن الأطباء الذين عاصروا النبي ﷺ الشمردل بن قباب الكعبي النجراني.

وبهذا الصدد جاء في كتاب «تاريخ البيمارستانات في الإسلام»: (الشَّمردل بن قباب الكَعْبي النجراني كان في وفد نجران بني الحارث بن كعب فنزل الشَّمردل بين يدي النبي ﷺ فقال: (يا رسول الله بأبي أنت وأمي إنِّي كنت كاهن قومي في الجاهلية وإنِّي كنت أتطبَّب، فما يحلُّ لي فإنِّي تأتيني الشابة)، قال: «فصد العِرْق ومجسَّة الطعنة إن اضطررت ولا تجعل من دوائك شرّ ما، وعليك بالسَّنا ولا تداوِ أحداً حتى تعرف داءه». فقبَّل ركبتيه وقال: (والذي بعثك بالحق أنت أعلم بالطب مني)[١٩].

ويقول الأستاذ حامد محمود بن محمد بن منصور ليمور في كتابه الحائز على الجائزة الرابعة في مسابقة السيرة النبوية: (إسلام ضماد: روى مسلم والبيهقي عن ابن عباس...)[٢٠].

ولقد احتضن الإسلام الحضارات السابقة فبذل معتنقوه الغالي والنفيس لاقتباس الصالح والصحيح منها فكان المترجم لكتب العلم من اللغات الأجنبية للعربية يتقاضى في بعض الأحيان وزن ما ترجمه ذهباً، وهذا ما كان يعطيه الخليفة المأمون العباسي لبعض المترجمين أمثال حنين بن إسحق.

لذلك تشجع العلماء غير المسلمين، وتهافتوا على ترجمة تراث الحضارات السابقة للغة العربية، وأسَّس الخليفة المأمون (٨١٤ - ٨٣٣ م.) بيت الحكمة وجمع فيه الكتب وجعلها مقرّاً للترجمة من اللغات اليونانية والسريانية والسنسكريتية والفارسية للعربية، فرعى بذلك النهضة العلمية وشجَّع حركة الترجمة، فأصبحت المكتبة الإسلامية غنية بالكتب العلمية والطبية.

لذلك أصبح الطب أصيلاً في نفوس المسلمين والعرب وفتحت المستشفيات التي

---

(١٩) أنظر: «تاريخ البيمارستانات في الإسلام»، د. أحمد عيسى بك - مطبوعات جمعية التمدن الإسلامي بدمشق - طبعة ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٩ م. - ص ٧ - ٨.

(٢٠) أنظر: «منتقى النقول في سيرة أعظم رسول»، الطبعة الأولى - ص ١٨٥ - ١٨٦.

تضاهي مستشفيات القرن العشرين من جميع النواحي. ونبغ العديد من أطباء المسلمين والعرب، واكتشفوا ما لم يكتشفه غيرهم من الأطباء السابقين في جميع ميادين وفروع العلوم الطبية.

فهاكم أبو بكر محمد بن زكريا الرازي المتوفي سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م؛ كان من أكبر وأشهر الأطباء الذين اعتمدوا على الطب الإكلينيكي، والخبرة المنظَّمة، وتدوين المشاهدات والتجارب الطبية، وبذلك أصبح أشهر طبيب إكلينيكي في العالم لقرون عديدة. وألَّف (أكثر من مئتين وعشرين مؤلَّفاً...) كما يقول الدكتور علي عبدالله الدَّفاع [٢١] عميد كلية العلوم بجامعة البترول والمعادن ـ الظهران. ومن أشهر كتب الرازي كتاب «الحاوي» و«المنصوري» و«منافع الأغذية» و«من لا يحضره الطبيب».

وظهر في الأندلس الجرَّاح الكبير الذي علَّم الأوروبيين الجراحة ألا وهو أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي المتوفي سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١٣ م. وكتابه «التصريف لمن عجز عن التأليف» يشهد له بذلك ففيه العديد من الأشكال والرسوم لآلات جراحية متنوعة وعديدة، وقد ظلَّ كتابه هذا مرجعاً مهماً للجراحة في العالم.

أمَّا الشيخ الرئيس والفيلسوف الطبيب أبو علي بن الحسين بن عبد الله بن سينا المتوفي سنة ٤٢٨ هـ / ١٠٣٧ م.، فكان شيخ الأطباء، وألَّف كتابه الشهير «القانون في الطب» الذي يحوي خمسة كتب طبية في جميع فروع العلوم الطبية، ولأهميته فقد ترجم عشرين مرة للاتينية في القرن السادس عشر، وظلَّ دستور الأطباء في العالم قروناً عديدة.

والطبيب علاء الدين أبو الحسن علي بن أبي الحزم القَرَشي الدمشقي المسمَّى ابن النفيس (٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م. ـ ٦٨٦ هـ / ١٢٨٨ م.) كان أوَّل من اكتشف الدورة الدموية الصغرى.

والطبيب الأندلسي الشهير ابن زهر المتوفي ٥٥٧ هـ / ١١٦٢ م. كان طبيباً ذائع الصيت وألَّف كتاب «التيسير في المداواة والتدبير» وفيه وصف لعملية استخراج الحصى

---

(٢١) أنظر: «أعلام العرب والمسلمين في الطب»، الطبعة الأولى ـ ص ٩٨.

من الكلى وفتح القصبة الهوائية ووصف لالتهابات التامور والأذن الوسطى وكذلك لشلل البلعوم.

وتقول الدكتورة زيغريد هونكه في كتابها « شمس العرب تسطع على الغرب »: (من أهم عوامل انتصارات العرب هو ما فوجئت به الشعوب من سماحتهم حتى أنَّ الملك الفارسي كيروس Kyros نفسه قال: (إنَّ هؤلاء المنتصرين لا يأتون كمخرِّبين). فما يدَّعيه بعضهم من اتهامهم بالتعصُّب والوحشية إن هو إلاَّ مجرَّد أسطورة من نسج الخيال تكذِّبها آلاف من الأدلَّة القاطعة على تسامحهم وإنسانيتهم في معاملاتهم مع الشعوب المغلوبة... وكان لمسلكهم هذا أطيب الأثر مما أتاح للحضارة العربية أن تتغلغل بين تلك الشعوب بنجاح لم تحظ به الحضارة الإغريقية ببريقها الزائف ولا الحضارة الرومانية بعنفها في فرض إرادتها بالقوة...)[٢٢].

ومن أمثال هؤلاء الأطباء المسلمين والعرب الكثير، ولا يسعنا أن نتكلَّم عنهم بهذه العجالة ولكن إليكم ما يقوله علماء العالم عنهم. فقد جاء في كتاب « الطب العربي » للأستاذ الدكتور أمين أسعد خير الله الذي وضعه بالإنجليزية ونقله للعربية الدكتور مصطفى أبو عز الدين: (قال السير وليم أوسلر في كتابه « تطور الطب »: (أشعل العرب سراجهم من القناديل اليونانية وبلغت مهنة الطب عندهم أثناء القرن الثامن إلى الحادي عشر من المكانة والأهمية ما نكاد لا نجد له مثيلاً في التاريخ). وقال هوفمن عن العصر العربي في الأندلس: (لقد رأت اسبانيا عصراً ذهبياً ينافس في ارتفاعه أعمدة بركليس)[٢٣]. وجاء في المصدر السابق: (... قال الدكتور بيارد دودج رئيس الجامعة الأميركية في بيروت: (إنَّ تراث العرب العلمي... كان أساس الثقافة الأوروبية خلال عدة عصور...)[٢٤].

وجاء في كتاب « العلوم[٢٥] عند العرب »: (... وفي الطب ثبت أنَّ للعرب فضلاً

---

(٢٢) أنظر: « شمس العرب تسطع على الغرب »، نقله إلى العربية فاروق بيضون وكمال الدسوقي ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٦٩ ـ ص ٣٥٧ ـ ٣٥٨.

(٢٣) أنظر: « الطب العربي »، ص ٩.

(٢٤) أنظر: « الطب العربي »، ص ١٠.

(٢٥) تأليف الأستاذ قدري طوقان، ص ١١.

كبيراً في إنقاذه من الضياع... ويرى كمستون أنَّه لو لم يكن للعرب غير هذا الفضل في الإنقاذ لكفاهم فضلاً...).

وجاء في كتاب «معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة الأوروبية»[٢٦]: (... ونقل عن الأستاذ ليبري قوله: (لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخَّرت نهضة أوروبة الحديثة عدة قرن).

وجاء في المصدر السابق: (... ويقول سيديلوت في كتابه «تاريخ العرب»: (كان المسلمون في القرون الوسطى منفردين في العلم والفلسفة والفنون... وقد نشروها أينما حلَّت أقدامهم وتسرَّبت عنهم إلى أوروبة فكانوا سبباً لنهضتها وارتقائها...)[٢٧].

وقد كان المسلمون متسامحين مع جميع الديانات الأخرى وهاكم ما جاء بهذا الصدد في كتاب «حضارة العرب»: (... قال روبرتسون في كتابه «تاريخ شارلكن»: إنَّ المسلمين وحدهم هم الذين جمعوا بين الغيرة لدينهم وروح التسامح نحو اتباع الأديان الأخرى، فهم مع امتشاقهم الحسام نشراً لدينهم تركوا من لم يرغبوا فيه أحراراً في التمسك بتعاليمهم الدينية)[٢٨]. وقال ميشود في كتابه «تاريخ الحروب الصليبية»: (إنَّ الإسلام الذي أمر بالجهاد متسامح نحو أتباع الأديان الأخرى، فقد أعفى البطاركة والرهبان وخدمهم من الضرائب، وحرَّم محمد قتل الرهبان على الخصوص لعكوفهم على العبادات، ولم يمس عمر بن الخطَّاب النصارى بسوء حين فتح القدس، فذبح الصليبيون المسلمين وحرقوا اليهود بلا رحمة وقتما دخلوها). وقال الراهب ميشو في كتابه «رحلة دينية في الشرق»: (ومن المؤسف أن تقتبس الشعوب النصرانية من المسلمين التسامح الذي هو آية الإحسان بين الأمم واحترام عقائد الآخرين وعدم فرض أي معتقد عليهم بالقوة...).

ولقد رفع العرب الطب وسموا به إلى أعلى المستويات وخصوصاً في الجراحة

---

(٢٦) تأليف عبد الله علوان ـ الطبعة الأولى ـ ص ١١٧.

(٢٧) أنظر: «معالم الحضارة في الإسلام»، ص ١١٧.

(٢٨) أنظر: «حضارة العرب»، د. غوستاف لوبون ـ نقله للعربية عادل زعيتر ـ الطبعة الثالثة ـ في هامش ص ١٦٢.

والجرَّاحين الذين اعتبرتهم أوروبا في العصور الوسطى كجزَّارين. واعتبرت الجراحة من الصناعة الدنيئة والسافلة والمنحطَّة فهاكم الدكتورة زيغريد هونكه تذكر في كتابها «شمس العرب تسطع على الغرب»: (... لقد اعتبر التعاطي بعقاقير غير عقاقير الكنيسة وأدوية الروح، أو ممارسة مهنة الطب، وإجراء العمليات الجراحية بالآلات عملاً دون مركز الكنيسة ودون جلال قدسيتها: (إنَّه لمشين حقاً أن يعمل الطبيب بيديه). إنَّ هذا القول ظلَّ معمولاً به مدى أجيال عديدة طويلة حتى لدى الأطباء المتعلِّمين. لقد كان من الأمور المعيبة الحقيرة الموغلة في عيبها وحقارتها أن يمارس عميد الطب مهنة يدوية، حتى جسّ النبض اعتبر أمراً دنيئاً مهيناً. وباختصار فإنَّ الكنيسة قد حرَّمت على رجالها تعاطي الجراحة معاطعاة قطعية... وكثيراً ما كان يتوارث الابن عن الأب مثل هذه المهنة، فكان الناس يعتبرونه طبيباً على أية حال... امتلأ صدر بطريرك الفرنجة غريغوريوس التوري (٥٤٠ ـ ٥٩٤) غيظاً واحتقاراً على فن هؤلاء الأطباء الجهلة الذين كانوا يتلاعبون بالمباضع الحادة والإبر الدقيقة قائلاً: (ماذا بوسع الأطباء أن يحقِّقوا بآلاتهم؟ إنَّ وظيفتهم تسبِّب الآلام أكثر من العمل على تخفيف وطأتها. إنَّهم عندما يفتحون العين، مثلاً، ويعملون فيها، بمباضعهم الدقيقة الحادة، تجريحاً وتقطيعاً فهم يدفعون بأهوال الموت قُدُماً قبل أن يعينوا العين على الإبصار...)[٢٩].

وتقول الدكتورة زيغرد في كتابها السابق: (لقد قصَّ فيلهلم على رفاق سفره... (كان عندنا في بلادنا فارس كبير القدر فمرض وأشرف على الموت فجئنا إلى قسٍّ كبير من قسوسنا وقلنا: تجيء معنا حتى تبصر الفارس فلاناً؟ قال: نعم. ومشى معنا ونحن نتحقَّق أنَّه إذا حطَّ يده عليه عوفي. فلمَّا رآه قال: أعطوني شمعاً. فأحضرنا له قليل شمع، فليَّنه وعمله مثل عُقَد الأصبع وعمل كل واحدة في جانب أنفه فمات الفارس. فقلنا له: قد مات، قال: نعم. كان يتعذَّب، سددت أنفه حتى يموت ويستريح)[٣٠].

وجاء في المصدر السابق ونفس الصفحات: (هكذا علَّم القديس يعقوب رسول

---

(٢٩) أنظر: «شمس العرب تسطع على الغرب»، ص ٢١٩ ـ ٢٢٠.

(٣٠) المصدر السابق، ص ٢١٨ ـ ٢١٩.

السيِّد المسيح و بهذا أوصى ، إنّ يسوع نفسه طبيب ، طبيب الأجساد والأرواح ، قد مارس هذه الأعاجيب القائمة على إبراء المريض بلمسة من يده ، وطرد الأبالسة من أجساد أصفيائـه وخدَّامه مرَّات عديدة . . . إنَّ الشياطين والأرواح النجسة هي وحدها التي تسعى إلى إبعاد البشر عن الله فتدفع بالأغبياء البله ضعيفي الإيمان لأن يلتجئوا إلى مثل هذه الوسائل . (إنَّ علم العقاقير بأشكالها المختلفة ، يرجع في أصله إلى الفن الباطل الخادع القائم على المادة . ولئن آمنَّا جدلاً بأنَّ المادة قادرة على شفاء العلل ، إن وثق الإنسان بها ، فكم هو حري بقدرة الله أن تشفي المريض عندما يعتمد المرء على قوة خالقه ؟ . فَلِمَ إذن ، لا تتوجه إلى سيِّد العالمين ، وإلاَّ فامضِ أيها الإنسان العاجز الضعيف وتداوَ كالكلب بالكرنب ، والأيل بالأفاعي والخنزير بالسرطان النهري ، والأسد بالقرود ، لماذا لا تؤلِّه الأشياء الأرضية ؟ ؟ هذا ما جاء على لسان الأب الجليل تاتيان Tatian ! !) .

أمَّا كاترين ب . شبن فتقول في كتابها « روَّاد الطب » : (كان قلة من الناس هم الذين يُعنون بالمرضى في أوروبا في أوائل العصور الوسطى . وكان الناس يعتقدون أنَّ الله هو الذي يعتني بخلقه ولا يمكن بحال من الأحوال الاعتماد على الأدوية والعقاقير في شفائهم كما كانوا يعتقدون أنَّ تكرار الصلوات والحج إلى الأماكن المقدَّسة ووفاء النذر أجدى في شفاء الأمراض . وفي بعض البلدان عاد الناس إلى اتباع عادة إرقاد مرضاهم في الهياكل . وبالطبع كان كل إنسان يعلم أنَّ بعض القدِّيسين يتشفعون لشفاء بعض أمراض الجسد فقد يصلِّي الناس للقديسة بليز St.Blaise لشفاء آلام الحلق . . . والقديسة أبولونيا St.Appolonia لشفاء آلام الأسنان . . . وهلمَّ جرا ، وكان الدعاء لمثل هؤلاء القديسين وإيقاد الشموع أمام صورهم يبدو للعقول المغفَّلة لأهل ذلك العصر منطقياً وأكثر حكمة من استدعاء الطبيب . . .)[٣١] .

لقد اعتبر الأوروبيون أنَّ الأمراض غضب من الله ونقمة وعقاب على ما يقترفه الشخص من ذنوب ، فالذنب والخطيئة سبب الأمراض والأوباء ، أو أنَّ الشياطين والجن قد حلَّت في الشخص المريض فسبَّبت له الأمراض أو أنَّ الكواكب والنجوم وما يتساقط

---

(٣١) أنظر : « روَّاد الطب » ، ترجمه للعربية م . عيسى ـ ص ٦١ ـ ٦٢ .

منها من نيازك وشهب سبَّبت سموماً وأبخرة جلبت الأمراض والوباء للبشرية وبهذا الصدد فقد جاء في كتاب «شمس العرب تسطع على الغرب»: (... أحضروا فارساً قد طلعت في رجله دمّلة، وامرأة قد لحقها نشاف... فجاءهم طبيب إفرنجي... وقال للفارس، أيُّما أحبُّ إليك تعيش برجل واحدة أو تموت برجلين؟ قال: أعيش برجل واحدة، قال: احضروا لي فارساً قوياً وفأساً قاطعة، فحضر الفارس والفأس... فحطَّ ساقه على قرمة خشب وقال للفارس إضرب رجله بالفأس ضربة واحدة، إقطعها، فضربه ضربة واحدة ما انقطعت، ضربه ضربة ثانية فسال مخُّ الساق، ومات الرجل من ساعته. وأبصر المرأة فقال: هذه امرأة في رأسها شيطان قد عشقها، أحلقوا شعرها، فحلقوه... فزاد بها النشاف، فقال: الشيطان قد دخل في رأسها، فأخذ الموسى وشقَّ رأسها صليباً وسلخ وسطه حتى ظهر عظم الرأس وحكَّه بالملح فماتت في وقتها...)[٣٢]. لقد حدثت تلك الحادثة في القرن الثاني عشر بينما كان العرب يداوون مرضاهم بالأدوية والعقاقير وإذا لزم الأمر يدخلونهم المستشفيات الراقية المجهَّزة بالمعدَّات الجراحية والتخدير والصيدليات وما يحتاجه كل مستشفى عصري.

وتستطرد الدكتورة زيغريد هونكه فتقول: (لقد أُثِرَ عن القديس الروسانوي أنَّه رفض وهو مريض أن يعالجه طبيب... قائلاً: (... إنَّه لخير لي أن أعتمد على الله من أن أعتمد على البشر، وأنا أيضاً بغنى عن طبِّك عندما أعتمد على الله وأُسلِّم أمري له ولسيِّدنا يسوع المسيح). وكذلك كان الواعظ الصليبي الكبير برنارد كلارفو (١٠٩٠ - ١١٥٣ م.) ... يؤمن بكثير من المعجزات الشفائية، لذلك حرَّم على الرهبان الذين كثيراً ما داهمهم المرض لرداءة الطقس وتغيير المناخ، تناول العقاقير أو الاتصال بالأطباء لأنَّه كان يأبى (لخلاص أرواحهم أن تعبث به عقاقير أرضية فتهدِّده)[٣٣].

وتستطرد الدكتورة زيغريد هونكه فتقول أيضاً: (وهكذا رأى أيضاً يوحنا فم الأسد أنَّ بذرة كل مرض، علّة كامنة في خطايا البشر، فعندما يبعد سبب المرض عن

---

(٣٢) أنظر: «شمس العرب تسطع على الغرب»، تأليف د. زيغريد هونكه - ط ٢ - ١٩٦٩ - ص ٢١٥ - ٢١٦.

(٣٣) المصدر السابق، ص ٢٢٢.

المريض ويتخلّص هذا الأخير من عبء ذنوبه بالاعتراف. فإنَّ توقُّف العلّة يؤدّي إلى توقّف المعلول فتختفي الآلام الجسدية)[٣٤].

ولقد اعتبرت العمليات الجراحية من الأعمال الحقيرة الدنسة والجلاَّدون والجزَّارون من الأطباء هم الذين يقومون بمثل تلك العمليات.

وبهذا الصدد تقول الدكتورة زيغريد هونكه: (ولعلَّ فن الجراحة هو أبلغ دليل على أن لا العرب ولا تراثهم هم المسؤولون عن ضياع الطب الأوروبي في سراديب فلسفية فهذا الفرع بالذات يدين للعرب وصعوده المفاجيء من مرتبة المهن (الحقيرة) الدنسة التي تكاد تكون بمنزلة مهنة الجلاَّدين والجزَّارين، إلى القمة التي عرفها على أيدي العرب. وها هو قرار (تورس البابوي) عام ١٩٣٦ يحرِّم تدريسه في مدارس الطب ويعلن أنَّ كلَّ الأطباء الذين يتعاطونه حقيرون غير شرفاء! إذن فإلى العرب وحدهم يعود فضل رفع هذا الفن العظيم إلى المستوى الذي يستحقه... وباسم ابن سينا سار علم الجراحة في أوروبة يداً بيد مع علم التشريح ومهَّد السبيل للاكتشافات الطبية العظيمة التي حقَّقها علم الطب الحديث...)[٣٥].

وتقول الدكتورة زيغريد أيضاً عن المعتقدات السائدة في العصور الوسطى: (... إنَّ الشياطين والأرواح النجسة هي وحدها التي تسعى إلى إبعاد البشر عن الله فتدفع بالأغبياء البله ضعيفي الإيمان لأن يلتجئوا إلى مثل هذه الوسائل إنَّ علـم العقاقير بأشكالها المختلفة، يرجع في أصله إلى الفن الباطل الخادع القائم على المادة... لقد اعتبر التعاطي بعقاقير غير عقاقير الكنيسة وأدوية الروح أو ممارسة مهنة الطب وإجراء العمليات الجراحية بالآلات عملاً دون مركز الكنيسة ودون جلال الروح وقدسيتها: «إنَّه لمشين حقاً أن يعمل الطبيب بيديه») [٣٦]. وتتابع الدكتورة زيغرد قولها: (لقد شبه الأوروبيون مرض الطاعون بالدخان القاتل المنصبّ من السماء، أو بالبخار السام المنبعث من الشهب الساقطة، أو بالسم المنبثق من باطن الأرض بسبب الزلزال... ونسبوه أيضاً إلى التقاء الكواكب المشتري وعطارد والمريخ...)[٣٧].

---

(٣٤) المصدر السابق، ص ٢٢٣ - ٢٢٤.
(٣٥) المصدر السابق، ص ٣١٠.
(٣٦) المصدر السابق، ص ٢١٩.
(٣٧) المصدر السابق، ص ٢٧٥.

لقد كانت أحوال الشفاء والمعالجة في العصور الوسطى في أوروبا كما أسلفنا ويعتقدون: (إنَّ الله هو الذي يعتني بخلقه ولا يمكن بحال من الأحوال الاعتماد على الأدوية والعقاقير في شفائهم)[٣٨]. بينما رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه أمر بالمداواة في كثير من الأحاديث المروية الصحيحة، فعن جابر عن رسول الله ﷺ قال: «لكلِّ داء دواء فإذا أُصيب برىء بإذن الله»، رواه مسلم.

وعن أسامة بن شريك قال: (قالت الأعراب: يا رسول الله، أنتداوى؟ قال: «نعم يا عباد الله تداووا. فإنَّ الله لم يضع داء إلاَّ وضع له شفاء إلاَّ داءً واحداً». قالوا: وما هو؟ قال: «الهرم»). رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والنسائي والترمذي.

وقد قال رسول الله ﷺ: «مَنْ طبَّب ولم يُعْلَم منه طب فهو ضامن»(★).

وتقول زيغريد هونكه في كتابها «شمس العرب تسطع على الغرب»: (... نشر أبو القاسم مبادىء الجراحة... وشرح البيروني أرسطوطاليس العرب للفكر العالمي دوران الأرض حول الشمس. واكتشف الحسن بن الهيثم قوانين الرؤية وأجرى التجارب بالمرايا والعدسات المستديرة والأسطوانية المخروطية... العالم العربي... إنَّ انتصاراتهم العلمية المتلاحقة التي جعلت منهم سادة للشعوب المتحضِّرة في هذا العصر لفريدة في نوعها لدرجة تجعلها أعظم من أن تقارن بغيرها... إنَّ ما حقَّقه العرب لم تستطع أن تحقِّقه شعوب كثيرة أخرى كانت تمتلك من مقوِّمات الحضارة ما قد كان يؤهِّلها لهذا. بيزنطية وريثة الحضارتين الشرقية والإغريقية بقيت على جهلها مع أنَّها بلغتها اليونانية كانت أقرب الناس إلى الحضارة الإغريقية...)[٣٩]. وتقول في كتابها السابق أيضاً: (... طبيب وعلاَّمة من أصفياء صلاح الدين يدعى عبد اللطيف (١١٦٢ - ١٢٣١)... قائلاً ما معناه... علَّمنا جالينوس بأنَّ الفكَّ الأسفل مؤلَّف من قطعتين من العظم يجمع بينهما تدريز. ولكنَّنا فحصنا أكثر من ألفين منها ولم نجد فكّاً سفلياً واحداً له عظمتان، إنَّه عظمة واحدة دون أي تدريز وانظر هناك إلى مستدق الظهر، إنَّه مؤلَّف

---

(٣٨) أنظر: كتاب كاترين ب. شيبن، ص ٦١ - ٦٢.

(★) أي مطالب بما يُحدث من ضرر بالمريض.

(٣٩) أنظر: «شمس العرب تسطع على الغرب»، ص ٣٥٤.

من قطعة واحدة من العظم وليس من ست كما قال جالينوس. ونحن نؤمن بأنَّ البراهين التي تقدّمها لنا الحواس أصدق بكثير وأكثر إقناعاً من البراهين المستندة إلى بعض أساطين العلم)[٤٠].

وتقول الدكتورة زيغريد في كتابها السابق أيضاً: (... وقال أبقراط ومَنْ جاء بعده: بأنَّ الطفل في جوف الأم يتحرّك بنفسه تلقائياً ويخرج بواسطة هذه الحركة من الرحم، فجاء علي بن عباس ليكون أوَّل من قال بحركة الرحم المولدة التي تدفع بالثمرة إلى الخروج بواسطة انقباض عضلاته. وكتب عن الخراج في رحم الأم وفي حلقه وعن سرطان الجوف الداخلي وتحدَّث قبل داروين بألف عام عن أصل (الأنواع) المتأتي عن الانتخاب الطبيعي. كذلك فقد عارض ابن سينا قول القدامى بأنَّ الأنسجة الطرية كالدماغ والأنسجة القاسية كالعظم لا تلتهب بتاتاً وهذه النظرية مغلوطة وكان أوَّل من اكتشف التهابات غشاء الدماغ المعدية... ووضع أوَّل وصف لتشخيص مرض تصلُّب الرقبة والتهاب السحايا بشكل واضح يضاهي ما نقوم به في أيامنا هذه علماً وصحة... وفق علم الأمراض العربي في أن يتعدَّى حدود العلم الإغريقي ويسبق في فتوحاته ما جاء به جالينوس نفسه... لقد علَّم الرازي العرب التفكير الطلق والنظر الحر ورسالته عن (الحصبة والجدري)... ظلَّت المرجع الأوَّل والأخير في أوروبا حتى القرن الثامن عشر، وعدَّت أحسن ما صنّف عن الأمراض المذكورة فيها. ثم فرَّق مرض النقرس (وهو داء يصيب الأطراف في القدم غالباً) عن الروماتيزم...)[٤١].

وتستطرد الدكتورة زيغريد فتقول: (وكان ابن سينا أوَّل من وضع تشخيصاً دقيقاً عن التهاب الأضلاع والتهاب الرئة وخرَّاج الكبد، وفرَّق بين الالتهاب الرئوي والبلوراوي وبين التهاب السحايا الحاد والثانوي، وبين عوارض المغص المعوي والمغص الكلوي وتعرَّض لشلل الوجه وأسبابه وفرَّق بين الشلل الناتج عن سبب مركزي في الدماغ والناتج عن سبب محلي... وقدَّم ابن سينا أوَّل وصف وتشخيص كامل للمعجزة الفحمية المعدية أو الجمرة الخبيثة... وغيرها من الأمراض الأخرى التي تسبِّب داء

---

(٤٠) المصدر السابق، ص ٢٧٠.

(٤١) المصدر السابق، ص ٢٧١.

اليرقان، وتحدَّث بتفصيل عن دودة سمَّاها الدودة المستديرة. واكتشف الطبيب الطبري اللقاح الميكروبي لداء الحكَّة (آكلة. جرب) الذي عالجه الطبيب الأندلسي ابن زهر علاجاً شافياً. ويدين علم الطب لهذا الفيلسوف بأوَّل وصف أو تشخيص سريري لالتهاب الإهاب (الجلد) الوَسَطي، وللالتهابات الناشفة، والإنسكابية لكيس القلب. وقد فرَّقها عن أمراض الرئة. ويُدان له أيضاً باكتشاف الحقنة الشرجية المغذية، وبالغذاء الاصطناعي لمختلف شلل عضلات المعدة... وبوصف كامل لسرطان المعدة... وكان ابن سينا أوَّل من اكتشف أنَّ سرطاناً موضعياً يعطي عوارض السرطان العام في الجسم. وأكَّد أيضاً إمكانية عدوى داء السل وخطر الأشعة الشمسية على المصابين به. وأمَّا ابن رشد الطبيب والفيلسوف... فقد اكتشف المناعة التي يتركها داء الجدري الأسود لدى إصابته الأولى... إنَّ محاولة إدخال مبدأ التطعيم ضد الجدري حقَّقها العرب.... إذ عمدوا إلى جرح راحة اليد ما بين المعصم والإبهام ووضع قليل من بثور غير ملتهبة فوق الجرح يحفُّونه بها جيِّداً... في عام ١٣٤٨ نشر رجل الدولة الأندلسي المؤرِّخ والطبيب ابن الخطيب... رسالة علمية منطقية عن العدوى وعن انتشارها بواسطة الاتصال بالمرضى...)[٤٢]. وتقول الدكتورة زيغريد أيضاً: (الجرَّاح الأندلسي الكبير أبو القاسم الزهراوي قد أدخل تجديدات كثيرة ليس على علم الجراحة عامة بل أيضاً في مداواة الجروح وفي تفتيت الحصاة داخل المثانة وفي التشريح وإجراء العمليات. واهتم أيضاً بالطب العام فأغناه بوصفه العلمي استعداد بعض الأجسام للنزيف (هيموفيليا)... وقبل برسيفال بوت اهتم الجرَّاح العربي أيضاً بالتهاب المفاصل وبالسل في خرزات الظهر (فقرات) الذي سُمِّي فيما بعد باسم الإنجليزي بوت (بالداء البوتي) وطوَّر فرع الأمراض النسائية، بأن أدخل عليه طرقاً في البحث والمداواة جديدة وآلات حديثة)[٤٣]. وتقول الدكتورة زيغريد أيضاً: (لقد بلغ العرب في فرع طب العيون شأواً عظيماً تفوَّقوا فيه على اليونان وساعدهم في هذا اكتشافاتهم الناجحة في علم البصريات الذي يعدُّ علماً عربياً دون مبالغة... ابن سينا... أوجد الحقنة الشرجية وكيس الثلج...

---

(٤٢) المصدر السابق، ص ٢٧٢ ـ ٢٧٦.

(٤٣) المصدر السابق، ص ٢٧٧.

وأمَّا فضل استعمال خيط الشعر في العمليات الجراحية... فيرجع إلى الرازي... وللعرب على علم الطب فضل آخر كبير... ونعني به استخدام المُرْقِد (المخدِّر) العام في العمليات الجراحية...)[٤٤].

وتستطرد الدكتورة زيغريد في كتابها فتقول: (... فكم من جروحات مزمنة كانت تستغرق الأسابيع الطوال بل الأشهر الكاملة قبل أن تشفى... شفاها ابن سينا في لمحة البصر. والسر في ذلك يرجع إلى أنَّه قد تخلَّى عن نظرية القيح القديمة وعمل ما بوسعه لتجنُّب أي عامل كيماوي أو مادي من شأنه أن يبعث التقيح مستعملاً اللزوقات الساخنة مع الخمرة وهذا كشف علمي هائل اكتشفه ثانية الأستاذ ماسكوليه Masquelier من مدينة بوردو عام ١٩٥٩ وأثبت مفعول الخمرة الفاتكة للميكروبات التي توازي البنسلين... وللعرب فضل آخر على علم الطب... وهو معالجتهم للأمراض العقلية والعصبية إذ عالج العرب هذه الأمراض بالأفيون كما هو متبع حديثاً ولجأوا أيضاً إلى طرق... ومحاولة التأثير في المريض نفسياً كما أنَّهم أبدعوا في المعالجة النفسية Psychotherapie)[٤٥].

وتقول الدكتورة زيغريد أيضاً: (... العظيم مؤرِّخ الطب نوبورجر Neuberger قال: (إنَّ العرب هم الذين أدخلوا النور والترتيب على تراث القدماء الذي طالما اكتنفه الغموض ونقصه التسلسل...) وعرفوا كيف يقدِّمون العلوم في أشكال سهلة، وصاغوا في لغتهم الحية التي لم تمت فيها كلمة، تعابير علمية مثالية...)[٤٦]. وجاء في كتاب «الطب العربي» للدكتور أمين أسعد خير الله: (خدم العرب الطب خدمة قيِّمة، بأن صنَّفوا المعلومات الطبية سواء كانت من أصل يوناني أو هندي أو روماني ـ يوناني أو بيزنطي أو فارسي. وكان الفضل الأعظم لابن سينا في جمع وتنسيق هذه المعلومات من مختلف المصادر ووضعها في (قانونه) بقالب واضح دقيق... الرازي كان أوَّل من وصف بدقة ووضوح مرضي الجدري والحصبة... وابن زهر كان أوَّل من وصف خراج

---

(٤٤) المصدر السابق، ص ٢٧٩.

(٤٥) المصدر السابق، ص ٢٨٠ ـ ٢٨١.

(٤٦) المصدر السابق، ص ٢٨٦.

الحيزوم والتهاب الطامور الناشف والإنسكابي...)[٤٧].

وفي طب العيون... إنَّ للعرب وللمسلمين مؤلَّفات عديدة مثل مؤلَّفات حنين بن اسحاق «العشر مقالات في العين» وكتاب في العين على طريقة السؤال والجواب. ورسالة ابن روح محمد الجرجاني بعنوان «زرندست» أو «اليد الذهبية» وهو طبيب مسلم فارسي وله كتاب آخر اسمه «نور العيون»، وكثير من مصطلحات طب العيون التي تستعمل باللاتينية وغيرها من أصل عربي. ومن الكحَّالين (أطباء العيون) عيسى بن علي، وصلاح الدين بن يوسف مؤلِّف كتاب «نور العيون وجامع الفنون»، وخليفة بن أبي المحاسن مؤلِّف كتاب «الكافي في الكحل»...

وفي علم الجراحة... كان الأطباء المسلمون يجرون عمليات معقَّدة في العيون وغيرها بأدوات دقيقة ولا يزال بعضها يستعمل حتى الآن مع تعديل طفيف بها. وقد وصف الجرَّاح الشهير أبو القاسم الزهراوي أدوات جراحية عديدة في كتابه «كتاب التصريف» الذي يعتبر من أروع كتب الجراحة.

وقد استعمل الكي في الإسلام لمعالجة البواسير والقضاء على التعفن والأورام وقطع الأطراف.

وعالج الأطباء الكسور والمفاصل المخلوعة وكذلك كانوا ماهرين في جراحة الفم والأسنان وقد عملوا أسناناً صناعية من عظام الحيوانات.

ومن أشهر الجرَّاحين العرب الجرَّاح الأندلسي الشهير أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي مؤلِّف كتاب «التصريف لمن عجز عن التأليف»، ويحوي الكتاب ثلاثين مقالة وأوَّل مقالة تحتوي على، كما يقول الزهراوي نفسه: (الأولى ضممتها فصولاً عن الأمزجة والأغذية وتركيب الأدوية وعيوناً من التشريح وما أشبه ذلك جعلتها كالمدخل لهذا الكتاب). أمَّا المقالة الثانية فكانت في تقسيم الأمراض وعلاماتها والإشارة إلى علاجها من الرأس إلى القدم.

والمقالة الثالثة في صفات المعاجين القديمة التي تخزن وتدخر.

---

(٤٧) أنظر: «الطب العربي»، د. أمين أسعد خير الله ـ ص ٨٩ ـ ٩٠.

والمقالة الرابعة في صناعة الترياق الكبير وساير الترياقات والأدوية المفردة النافعة من جميع السموم.

والمقالة الخامسة تبحث في صفات الأرياجات القديمة والحديثة وادخارها وتخميرها.

والمقالة السادسة تبحث في صفات الأدوية المسملّة من الحبوب المدبّر لجميع العلل.

والمقالة السابعة تبحث في صفات الأدوية.

والمقالة الثامنة في الأدوية المسملّة اللذيذة الطعم.

والمقالة التاسعة تبحث في أدوية القلب وأدوية المسك وما أشبه ذلك...

والمقالة العاشرة تبحث في صفة البنادق المسهلات وغير ذلك...

والمقالة الحادية عشرة تبحث في صفة الكمونيات وما أشبه ذلك...

والمقالة الثانية عشرة تبحث في أدوية الباء والمسمِّنة للأبدان والمدرَّة للبول... ونحو ذلك.

والمقالة الثالثةعشرة تبحث في الأشربة والسكنيجيات والربو...

والمقالة الرابعة عشرة تبحث في المطبوخات والمنقوعات المسملة وغير المسملة...

والمقالة الخامسةعشرة تبحث في المربيات ومنافعها وحكمة ترتيبها وادخارها...

والمقالة السادسةعشرة تبحث في الشمومات ونحو ذلك...

والمقالة السابعةعشرة تبحث في الأمراض الممسكات والمسهلات.

والمقالة الثامنةعشرة تبحث في السعوطات والبخورات والعطورات والذرورات والغراغر.

والمقالة التاسعة عشرة تبحث في الطيب والزينة... وما أشبهه.

والمقالة العشرون تبحث في الأكحال والدهونات ونحو ذلك...

والمقالة الحادية والعشرون تبحث في السنونات وأدوية الفم.

والمقالة الثانية والعشرون في أدوية الصدر والسعال...

والمقالة الثالثة والعشرون تبحث في الضمادات لجميع علل البدن من القرن (الرأس) إلى القدم.

والمقالة الرابعة والعشرون في صناعة المرهم وسائر المراهم لجالينوس وغيره...

والمقالة الخامسة والعشرون في الدهونات ومنافعها وأحكام إخراجها...

والمقالة السادسة والعشرون تبحث في أطعمة المرضى وكثير من الأصحاء مركَّبة على حسب الأمراض.

والمقالة السابعة والعشرون في طبائع الأدوية والأغذية وإصلاحها وقوامها وخواصها.

والمقالة الثامنة والعشرون في تسمية العقاقير باختلاف اللغات... ونحو ذلك.

والمقالة التاسعة والعشرون في تفسير الأدوية وشرحها والأكيال والأوزان...

وأهم مقالة هي المقالة الثلاثون التي تبحث في شؤون الجراحة من الرأس إلى القدم، فيقول الزهراوي: (المقالة الثلاثون في العمل باليد والشق والبط والجبر والكي والخلع مشروحاً مختصراً...).

ويطالب الزهراوي الجرَّاحين والأطباء بالأشياء الكثيرة خوفاً من قتل الناس وحرصاً على الفائدة العامة. فيقول الزهراوي في مقدمة المقالة الثلاثين: (رأيت أن أكمل لكم بهذه المقالة التي هي جزء العمل باليد في بلدنا وفي زماننا معدوم البتة حتى كاد أن يندرس عمله وينقطع أثره وإنَّما بقي منه رسوم فنية في كتب الأوائل... ورأيت أن أجيبه وأؤلِّف فيه... هذه المقالة على طريق الشرح والبيان والاختصار وأن أقي بصور حدايد الكي وسائر آلات العمل إذْ هو من زيادة البيان... صناعة الطب طويلة وينبغي لصاحبها أن يرتاض قبل ذلك في علم التشريح الذي وضعه جالينوس على أن يقف على منافع الأعضاء ومبيناتها ومزاجاتها واتصالها وانفصالها ومعرفة العظام والأعصاب والعضلات وعددها ولذلك قال أبقراط إنَّ الأطباء بالاسم كثير وأنت والفعل قليل ولا سيما في صناعة اليد وقد ذكَّرنا نحن من ذلك لما ما في المدخل من هذا الكتاب لأنَّ من لم يكن عالماً بما ذكرنا من التشريح لم يخل أن يقع في خطأ يقتل الناس به...).

ثم يستطرد الزهراوي ويقول: (... وقد قسَّمت هذه المقالة على ثلاثة أبواب:

الباب الأوَّل: في الكي بالنار والكي بالدواء الحاد مبوَّب مرتَّب من القرن (الرأس) إلى القدم وصور آلات حدايد الكي وكلَّما يحتاج إليه وتحوي ستاً وخمسين فصلاً.

الباب الثاني: في الشق والبط والفصد والحجامة والجراحات وإخراج السهام ونحو ذلك كله مبوَّب مرتَّب وصور الآلات وفصوله سبعة وتسعون فصلاً.

الباب الثالث: في الجبر والخلع وعلاج الوتي وعلاج الكسر ونحو ذلك، كله مبوَّب مرتَّب من القرن إلى القدم وصور آلاته، فصوله خمسة وثلاثون فصلاً...).

وفي علم التشريح ألَّف المسلمون عدة كتب منها كتاب «شرح تشريح ابن سينا» لابن النفيس مكتشف الدورة الدموية الصغرى، ومنها كتاب «مختصر دار علم التشريح» لعبد المجيد البيضاوي في القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، وكتاب «التشريح المنصوري» للمنصور بن محمد بن الفقيه في القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي.

وقد وصف الأطباء المسلمون العضلات والأعصاب والعظام وقد أحصوا ٢٨٤ عظماً في جسم الإنسان وقد بيَّنوا علاقة أعضاء الجسم بعضها ببعض. والرازي أول من وصف الفرع الحنجري للعصب الحنجري العائد وقال إنَّه في بعض الأحيان يكون في الناحية اليمنى مزدوجاً.

ولقد وصف ابن سينا عضلات العين وصفاً دقيقاً. ولقد: (حظي الجهاز الهضمي باهتمام كبير من أطباء العرب.. خاصة ما قاله ابن سينا والرازي... يصف الأطباء العرب تشريح المعدة وصفاً لا بأس به ويميِّزون في عضلها ثلاث طبقات خارجية مستعرضة الليف للدفع، وداخلية طولية الليف للجذب ويخالط الطبقة الباطنة ليف مورب ليعين عن الإمساك...)[٤٨].

وفي علم الكيمياء والصيدلة المرتبطين بالطب: (... يكاد المسلمون يكونون هم الذين ابتدعوا الكيمياء بوصفها علماً من العلوم، ذلك أنَّ المسلمين أدخلوا الملاحظة الدقيقة والتجارب العلمية برصد نتائجها)[٤٩].

أمَّا الدكتورة زيغريد هونكه فتقول في كتابها «شمس العرب تسطع على الغرب»: (العرب هم المؤسِّسون الحقيقيون لمهنة الصيدلة... وكانوا أوَّل من افتتح الصيدليات

---

(٤٨) أنظر: «الموجز في تاريخ الطب والصيدلة»، ص ٥٧ ـ ٥٨ ـ تأليف مجموعة من الأطباء بإشراف الأستاذ الدكتور محمد كامل حسين.

(٤٩) أنظر: «قصة الحضارة»، ولْ ديُورانت ـ طبعة الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية ـ ج ١٣ ـ ص ١٨٧.

العامة وذلك في العام الثمانين من القرن الثامن في ظل حكم الخليفة المنصور...)[٥٠].

وتستطرد فتقول: (علم الخيمياء وهو علم قديم كان يبحث في كيفية تحويل المعادن إلى ذهب بخلاف علم الكيمياء الذي كان للعرب فضل كبير في تطويره والسير به أشواطاً إلى الأمام...)[٥١].

ويقول الأستاذ قدري حافظ طوقان في كتابه «العلوم عند العرب»: (... وفي الطب ثبت أنَّ للعرب فضلاً كبيراً في إنقاذه من الضياع... ويرى كمستون أنَّه لو لم يكن للعرب غير هذا الفضل في الإنقاذ لكفاهم خدمة وفخراً.

لقد رفع العرب شأن الطب ولهم الفضل في جعل الجراحة قسماً منفصلاً عنه وفي إنشاء المستشفيات والتفنُّن فيها وفي الترخيص الشرعي لممارسة الطب والصيدلة.

وكذلك في الصيدلة وضعوا أسسها وهم أوَّل من أنشأ مدارسها واستنبطوا أنواعاً من العقاقير وامتازوا في معرفة خصائصها وكيفية استخدامها لمداواة المريض...)[٥٢].

وقد اكتشف المسلمون العديد من الأدوية ولا تزال أسماء تلك العقاقير تلفظ بإسمها العربي باللغات الأجنبية مثل كلمة قطنCotton، ليمون Lemon، صودا Soda، قلي (قلويات) Kali، البورق Borax، الكحول Alcohol، كيميا Chemie، بنزين Benzin، الإكسير Elixier، أنيلين (نيله) Anilin، الخيمياء (الكيمياء القديمة) Alehemic، نطرون Natron، الملغم Amalgam، الحنظل Alhandal.

وتقول الدكتورة زيغريد هونكه الإلمانية في كتابها «شمس العرب تسطع على الغرب»: (... العرب هم المؤسِّسون الحقيقيون لمهنة الصيدلة التي ارتفع أصحابها بمعلوماتهم الوفيرة وبشعورهم بالمسؤولية عن مستوى تجَّار العقاقير في العصور القديمة... لقد فصل العرب حقل محضر الدواء عن حقل واصفه وأوجدوا مهنة الصيدلاني الذي ارتفع إلى مركز عالٍ بفضل علومه ومسؤوليته الخاصة. وكانوا أوَّل من افتتح الصيدليات العامة وذلك في العام الثمانين من القرن الثامن في ظل حكم الخليفة المنصور.

---

(٥٠) أنظر: «شمس العرب تسطع على الغرب»، الطبعة ٢ ـ ص ٣٢٩.

(٥١) المصدر السابق، ص ٣٤٩.

(٥٢) أنظر: «العلوم عند العرب»، الصادر سنة ١٩٦٠ ـ ص ١١.

كما أنَّهم ألحقوا بكل (بيمارستان) صيدلية خاصة به... وأنشأوا صيدليات خاصة بساحة المعركة كانت تصحب البيمارستانات المحمولة المتنقّلة Ambulance. ومنذ أيام المأمون في القرن التاسع الميلادي كانت الصيدليات وكل قسم من أقسام الصحة العسكرية تحت إشراف حكومي. وكما كان هناك رئيس للأطباء كذلك كان في كل مدينة عميد للصيادلة يقوم بامتحانهم ويمنحهم رخصة العمل إذا نجحوا ويقيّد أسماءهم في الجدول الخاص بهم)[٥٣].

وتستطرد الدكتورة زيغريد فتقول في كتابها «شمس الرعب تسطع على الغرب»: (... ومع هذا فقد ظهرت أيدٍ أخذت على عاتقها التمثل بالشكل العربي وإناطة أمر الإشراف على قضايا الصحة العامة في أوروبة بجماعة مفتوحة الصدر لرغبات المرضى ومتحرِّرة من المعتقدات الخاطئة كلها. وكانت صقلية مسرحاً لأوَّل مقابلة حاسمة في هذا المعنى بين ما حقَّقه العرب في هذا الميدان وبين الغرب، فبعد مئتين وخمسين سنة من السيطرة العربية على تلك الجزيرة أصبح أمر اعتناء الدولة بالصحة العامة حقّاً مكتسباً لدى جماهير الشعب، ولمّا جاء النورمانديون، وعلى رأسهم ملكهم روجر الثاني، صادق على هذا الحق وأصدر قانوناً في عام ١١٤٠ يقضي بامتحان الأطباء، قبل إعطائهم الترخيص، تماماً كما فعل من قبله بزمان طويل الخليفة المقتدر بالله في بغداد... وفي عامي ١٢٣١ و١٢٤٠ أكَّد الأمبراطور فردريك الثاني... على تنظيم العرب لسلكي الأطباء والصيادلة بقوانينه التي أصدرها... وقد فرَّق أيضاً بين مهنتي الطبيب والصيدلي (كما كان في الأمبراطورية العربية)... لقد كانت هذه الاجراءات بالنسبة إلى بقية البلدان الأوروبية شيئاً غير مقبول لأنَّ الكنيسة قد رأت في ذلك تهديداً مباشراً لمصالحها... ومع ذلك فقد صارت قوانين فردريك الثاني فيما بعد هي القوانين المعمول بها في البلاد الأوروبية... وهكذا نجد أنَّ رأس الجسر الذي انتقل بالطب وصناعة الصيدلة من العصور الوسطى إلى العصر الحديث، كان من صنع العرب في القرنين الثامن

---

(٥٣) أنظر: «شمس العرب تسطع على الغرب»، نقله عن الإلمانية فاروق بيضون وكمال الدسوقي ـ ط ٢ ـ سنة ١٩٦٩ ـ ص ٣٢٩.

والتاسع الميلادي)[٥٤] .

أمَّا الدكتور ناصر حسين صقر فيقول في كتابه[٥٥] : (فأصبح العطَّار - أي الصيدلي - ... يتلقَّى الوصفة الطبية من (الحكيم أو الطبيب) المعالج ويهيء الدواء للمريض ويعلِّمه كيف يستعمله وتوسَّع دكَّان العطَّار وتحسَّن وتمخَّض عن ذلك فتح أوَّل صيدلية في التاريخ وكانت في بغداد عام ٧٥٤ م...).

ويقول الدكتور أسعد أمين خير الله في كتابه[٥٦] : (ومنذ زمن المأمون كان الصيادلة خاضعين للامتحان والحصول على إجازة **الممارسة** وكانت صيدلياتهم خاضعة للتفتيش المنظَّم، وكان يوجد في كلِّ مدينة كبيرة عميد للصيادلة الذين كانوا يدعون عطَّارين...).

وجاء في كتاب « الموجز في تاريخ الطب والصيدلة »[٥٧] : (ولقد ذكر القفطي أنَّه كان في النصف الأوَّل من القرن التاسع الميلادي أشخاص متعلِّمون موثوق في كفايتهم لقِّبوا بالصيادلة حصلوا على تراخيص توليهم حق مزاولة المهنة، فقد سنَّت القوانين التي تفرض الرقابة الحكومية الدقيقة عليها فعُيِّن في كل مدينة كبيرة موظَّف (مفتِّش) يعتبر كبيراً للصيادلة فيها أو عميداً لهم للإشراف على تنفيذ هذه القوانين ومراقبة تحضير الأدوية في الصيدليات ونقاوة العقاقير المستعملة كما كانت هذه القوانين تفرض على من يتعاطى صناعة الصيدلة أن يحصل على ترخيص من الحكومة بذلك بعد أداء امتحانات خاصة في معرفة العقاقير وطرق تجهيزها... ثم يقيَّد إسمه في سجل الجدول الخاص بذلك، وأوَّل امتحان أُجري لذلك كان في بغداد سنة ٢٢١ هجرية في عهد الخليفة المعتصم، فكان العرب لذلك أوَّل من أنشأ فن الصيدلة على أساس علمي سليم وإقامة الرقابة على الصيدليات والصيادلة فكانوا فعلاً روَّاده ومؤسسيه.

وأوَّل صيدلية خاصة أُنشئت في بغداد عام ٧٦٦ م. ولقد ذكر تشرش

---

(٥٤) المصدر السابق، ص ٣٣٠ - ٣٣١ .

(٥٥) أنظر : « النباتات الطبية عند العرب » ، ص ٢٣ .

(٥٦) أنظر : « الطب العربي » ، ص ١٨٨ .

(٥٧) تأليف مجموعة من الأطباء والكتَّاب بإشراف الدكتور محمد كامل حسين - ص ٣١٥ .

Tschirch[٥٨] ما مؤدّاه أنّ الصيدلية (دكان الأدوية) هي من إنشاء عربي خاص ولقد كان من المشكوك فيه جداً أن ترقى الصيدلية إلى مستواها الحالي لو لم تتأثّر دراسة الطب والصيدلة بالتعاليم العربية في الطب والصيدلة.

وتقول الدكتورة زيغريد في كتابها[٥٩]: (وهكذا كان البيطار عميداً للصيادلة في القاهرة لوقت طويل... كان في كل مدينة مفتّش خاص يفتّش تحضير الأدوية ويراقبها ويقوم بجولته التفتيشية هذه برفقة شرطة الصحة. وقد وجب على الصيادلة إلى جانب عملهم الأساسي أن يعملوا في مركز فحص المواد الغذائية الذي كان يشرف بشكل دائم على مراقبة الأفران وباعة الحليب وحوانيت المواد الغذائية ويسهر على صحة مقاييسهم وأوزانهم ويفحص اللحوم في المسالخ القائمة خارج المدن... الخ. كلّ هذا لتجنّب التسمّم وانتشار الأوبئة. هذا وكان الصيادلة يصنعون أدويتهم حسب التعليمات الرسمية الموجودة في كتب خاصة (تدعى كتب الأقرباذين).

ومن علماء علم الصيدلة والنبات المشهورين من العرب أبو حنيفة الدينوري فقد ألّف كتاب «النبات» وأضاف الكثير من المعلومات والاكتشافات في علم الصيدلة.

وأمّا أحمد بن ابراهيم بن أبي خالد بن الجزّار الطبيب العربي الذي عاش في مدينة القيروان فقد ألّف كتباً عديدة ومنها «كتاب الأقرباذين» و«كتاب الاعتماد» و«كتاب الإبدال» ومنه قطعة موجودة في الأسكوربال وهو البناء الذي أقامه فيليب الثاني ملك اسبانيا في النصف الأخير من القرن السادس عشر ويشمل مقبرة وكنيسة وقصراً ومدرسة.

ولقد توفي ابن الجزّار عام ١٠٠٤ م.

وكان الطبيب العربي يصف الدواء المناسب لمريضه. وبهذا الصدد جاء في مجلة «عالم الفكر»: (... يطالب ابن سينا بعدم الوقوف على دواء واحد كعلاج واحد وذلك راجع إلى أنّ لكلّ بدن ولكلّ عضو خاصيته في الانفعال عن دواء دون دواء ووقت دون

---

(٥٨) (Ts Chirch A: Hand buch der Phamakognolse 1933).

(٥٩) أنظر: «شمس العرب تسطع على الغرب»، ص ٣٣٠.

وقت وإذا كان الدواء المفرد كافياً في حصول الغرض فلا يعدل عنه إلى الدواء المركّب لأنَّ المفرد أخفّ على الطبيعة من المركّب ومفرداته أقلّ عدداً...)[٦٠].

أمَّا الطبيب الجرَّاح أبو القاسم الزهراوي فقد ذكر العديد من الأدوية وصفاتها وتحضيرها واستعمالاتها في كتابه الشهير «التصريف لمن عجز عن التأليف» المصوَّر على ميكروفيلم في مكتبة الجامعة الأردنية يحمل رقم ٨١/٨٠، وذلك في المقالات الثالثة حتى المقالة التاسعة والعشرين فوصف المعاجين والترياقات والمسهِّلات، والمقيئات والشيافات وأدوية القلب... الخ.

ويحوي كتاب الزهراوي ثلاثين مقالة وأوَّل مقالة تحتوي، كما يقول الزهراوي نفسه، على: (الأولى ضممتها فصولاً الأمزجة والأغذية وتركيب الأدوية وعيوناً من التشريح...).

أمَّا المقالة الثانية فكانت في تقسيم الأمراض وعلاماتها وأعراضها والإشارة إلى علاجها من الرأس إلى القدم.

وأهم مقالة هي المقالة الثلاثون التي تبحث في علم الجراحة من القرن (الرأس) إلى القدم.

وعلاوة على ذلك فإنَّ هنالك العديد من علماء الكيمياء والصيدلة مثل الكندي (حوالي ٨٥٠ م.) وسهلان بن كيسان (المتوفي عام ٩٩٠ م.) وسعيد بن عبد ربه (المتوفي عام ٩٥٣ م). ومؤلِّف كتاب «الدكان»، وابن وافد (١٠٠٨ ـ ١٠٧٤) مؤلِّف كتاب «الوساد»، وابن زهر مؤلِّف كتاب «الجامع في الأشربة والمعاجين»، والبيروني مؤلِّف كتاب «الصيدلة»، وابن البيطار مؤلِّف كتاب «المغني في الأدوية المفردة»، وجابر بن حيَّان مؤلِّف كتاب «أسرار الكيمياء»... الخ.

فهؤلاء بعض من علمائنا الذين أناروا السبيل لعلم الكيمياء والصيدلة فيا ليتنا نذكرهم ونتعرَّف على أجدادنا كما ذكرهم الكثير من علماء الغرب.

---

(٦٠) أنظر: «مجلة عالم الفكر»، الكويت ـ إبريل، مايو، يونيو، ١٩٧٨ م. ـ ص ٨٢. عن مقال للدكتور جلال محمود موسى بعنوان: «الطب والأطباء».

وفي القرن الرابع الهجري أي العاشر الميلادي ظهر صيدلاني وطبيب مشهور ترك أثراً كبيراً في الغرب ويدعى محمد التميمي المقدسي الفلسطيني العربي طبيب الحسن بن عبد الله بن طغج الأخشيدي أمير الرملة ثم انتقل للديار المصرية وتوفي في القاهرة نحو ٣٨٠ هـ - ٩٩٠ م.

ويقول عنه سيد حسين نصر في كتابه « العلوم في الإسلام »: (ظهر الكتاب المشهور للفلسطيني أبي عبد الله التميمي « كتاب المرشد في جماهير الأغذية وقوى المفردات من الأدوية » وهو هام من ناحية الأغذية والأدوية)، و« كتاب الاعتماد في الأدوية المفردة » وفيه ذكرت مفردات الأسماء العربية للأدوية بالسريانية والفارسية. كما ركّز المؤلّف على الخواص الخفية للأدوية وترجم أسطيفانوس السرقسطي هذا الكتاب إلى اللاتينية فترك أثراً كبيراً في الغرب...)[٦١].

قال كلٌّ من الدكتورة كارمن بينيا مونيوث والدكتور خوسيه لويس فالفيردي - إسبانيا -: (من بين أقدم طرق التأليف في كتب التراكيب العربية، يوجد الكتاب الطبي الصيدلي المسمَّى « أقراباذين » في هذا النوع من التأليف يوجد عادة مجموعة من التراكيب المستعملة لأمراض مختلفة... من بين أبرز تأليف المتقدّمين في هذا الميدان نستطيع أن نذكر كتاب الكندي (حوالي ٨٥٠ م.) وهو من أقدم ما أُلّف باللغة العربية... وثمة نوع آخر من كتب التراكيب الطبية. وهي المختصرات من مثل كتاب سهلان بن كيسان (المتوفي عام ٩٩٠ م.) المعنون « مختصر في الأدوية المركّبة المستعملة في أكثر الأمراض ». ويشتمل هذا الكتاب على فصول من الإطريفلات والمعاجين والحبوب والمسهلات والأقراص والسفوفات والأشربة واللعوقات والربويات والغراغر والأكحال والفتائل والفزرجات والأطلية والأدهان والنطولات وأدوية للفم والسنونات والمراهم)[٦٢]. وجاء في نفس المصدر: (ونشير... إلى « كتاب الدكان » لسعيد بن عبد ربه (المتوفي عام ٩٥٣ م.) وهو على حد قول حمارنه أوّل كتاب في نوعه مكتوب في

---

(٦١) أنظر: « العلوم في الإسلام »، دار الجنوب للنشر - تونس، الصادر سنة ١٩٧٨ م. - ص ١٦١.

(٦٢) أنظر: « نشرة الطب الإسلامي »، العدد الأول - ط ٢ - الأبحاث وأعمال المؤتمر العالمي الأوّل - الكويت - يناير ١٩٨١ - ص ٢٨٤.

الأندلس وظهر بعد كتاب «أقراباذين» سابور بن سهل المتوفي عام ٨٦٩ م بخمسة وسبعين سنة تقريباً. أمّا «كتاب الدكان» فهو كتاب تراكيب منقسم إلى سبعة عشر باباً توصف فيها وصفات صيدلية والتراكيب والطرق المستعملة فيها وأيضاً وصفات مختلفة للأشربة والمعاجين والأقراص والجوارشنات والأدهان والسفوفات... الخ. ومن كتب التراكيب «كتاب الوساد» لابن وافد (١٠٠٨ - ١٠٧٤) و«كتاب الجامع في الأشربة والمعاجين»... لابن زهر)[٦٣].

لقد كانت الأدوية عبارة عن وصفات من النباتات والأعشاب في قديم الزمان حتى أنَّ الفراعنة قد قدّسوا الثوم وكانوا يقدمونه قرابين لآلهتهم واعتبروه مادة تمدّ الإنسان بالقوة والنشاط. ولكن لرائحته المنفرة أمر الإسلام من يأكل ثوماً لا يدخل المسجد.

وفيما بعد استطاع العلماء العرب والمسلمون تحضير الأدوية المفردة والمركّبة من أصل معدني وحيواني علاوة عن الأدوية النباتية. ومن الأدوية النباتية المفردة الأفيون، آس أنيسون Anis، بابونج Camomille، ورد، لبلاب.

أمّا أنواع الأدوية المركّبة التي استعملوها وحضّروها فمنها الأدهان، الأشربة، اللعوقات Linctus، اللبخات (اللصوقات) Cataplasm، والقمائح Grains، الأضمدة Pansements، الغراغر Collutoires, Gargles، شيافات العين Poudres Ophtalmiques، الأطلية أو المروخ Liniments، الشمومات Insufflations، الأقراص Tablets، الأكحال Kohls، منظفات الأسنان أو السنونات Dentifrices، الجوارشنات (العلاجات المهضّمة) Digestifs، والسعوطات Prises Pour le Nez، والجبن Fromage، والسفوفات Poudres Orales، والحبوب Pillules، والذرورات Poudres، والمراهم Pommades، والنطولات Lotions، والغسولات Douches، والمربيات Confitures، والمعجونات Pastes، ومن الأدوية ذات أصل حيواني: بيض، حليب، شحم، شمع، كبد، ودع... الخ. ومن العقاقير ذات الأصل المعدني البورق والحديد، والرمل المسخَّن، والكبريت والزيبق والزرنيخ، والملح... الخ.

---

(٦٣) المصدر السابق، ص ٢٨٥.

ويقول الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن علي بن سينا: (... ونبتدىء فنقول إنّ علاج الأسنان بالمجففات علاج كما علمت مناسب وبالمسخنات والمبردات علاج يحتاج إليه عند شدة الزوال... والأدوية السنية منها سنونات ومنها مضوغات ومنها لطوخات ومخبصات على الأسنان أو على الفك ومنها مضمضات ومنها دلوكات ومنها أشياء تحشى ومنها كمادات ومنها كاويات... ومن أدوية الأسنان ما هي محلّلة ومنها ما هي مبرّدة ومنها ما هي مخدّرة)[٦٤].

ويستطرد ابن سينا فيقول: (فصل في تغير لون الأسنان) قد يكون ذلك لتغيّر لون ما يركبها من الطلاوة فيحدث قلح وربما تحجّر في أصول السن... وقد يكون لمادة رديئة تنفذ في جوهر السن وتتغيَّر فيها ويفسد لونها إلى باذنجانية ونحوها من غير أن يكون عليها قلح (المعالجات) أمَّا الأوّل فيعالج بما يجلو وينقي مثل زبد البحر والملح الأندراني أجزاء سواء وإن شئت زدت فيه صدف الحلزون محرقاً... ومما يبيِّض في الحال سحيق الغضار الصيني أو سحيق الزجاج... أو السنباذج وحجر الماس... (سنون جيِّد) وصفته أصل الزراوند، قرن الإيل المحرق جزءان، مصطكي ثلاثة أجزاء، دهن الورد خمسة أجزاء يسحق ويستعمل...)[٦٥]. وقد ذكر ابن سينا سنونات أخرى وأدوية لعلاج أمراض الفم والأسنان.

ممَّا تقدَّم وبدون أدنى شك فإنَّ العلماء يعتبرون أنَّ العرب والمسلمين هم مؤسِّسو علم الصيدلة والكيمياء والصيدليات ولقد اهتموا كثيراً في علم العقاقير فذكر الرازي في كتابه «الحاوي» حوالي ٨٢٩ نوعاً من الأدوية وبيَّن خواص كل نوع منها مرتَّبة على حسب حروف الأبجدية.

كذلك كتب الزهراوي الكثير عن الأدوية وتحضيرها وأوصافها في كتابه الشهير «التصريف لمن عجز عن التأليف».

أيضاً لقد وصف ابن سينا العديد من الأدوية في كتابه «القانون» تزيد عن ٧٦٠ عقاراً.

---

(٦٤) أنظر: «القانون في الطب»، الجزء الثاني ـ ص ١٨٦.

(٦٥) المصدر السابق، الجزء الثاني ـ ص ١٩١.

أمَّا البيروني فقد ذكر حوالي ٨٥٠ عقاراً في كتابه الشهير « كتاب الصيدلة ». وابن البيطار وصف حوالي ألف وأربعمائة عقار من أصل حيواني ونباتي ومعدني في كتابه الشهير « كتاب المغني في الأدوية المفردة ». وأمَّا جابر بن حيَّان فكان بارعاً في الكيمياء وله كتب عديدة منها « أسرار الكيمياء » و« كتاب السموم » و« كتاب الخواص » و« كتاب السبعين » و« كتاب نهاية الإتقان » و« رسالة الأفران ».

ويعتبر جابر بن حيَّان من مؤسِّسي علم الكيمياء واستخدم هذا العلم لتحضير الأدوية ومستحضرات عديدة أخرى مثل حوامض الكبريتيك والنيتريك والماء الملكي وكذلك استخدم علم الكيمياء في بعض الصناعات مثل صناعة الصابون والورق والزجاج. وهو أوَّل من اكتشف فصل الفضة عن الذهب بواسطة الحامض واستعمل ثاني أوكسيد المنغنيز في صنع الزجاج واكتشف الصودا الكاوية وملح النشادر ونيترات الفضة والبوتاس.

وهو أوَّل من وصف التقطير والتبلور والتبخير والتصعيد والتحويل والتذويب. وقد كان يعتمد في أبحاثه الكيميائية على البحث العلمي التجريبي وعلى الاستنتاج وله حوالي ثمانين كتاباً ورسالة واشتهر بالمنطق والفلسفة وقد وُلد في مدينة طوس (طرسوس) سنة ٧٣٧ وتوفي عام ٨١٣ م. وقد عاش بالكوفة وبغداد وكان من علمائها المشهورين وكان أستاذه في الكيمياء جعفر الصادق الذي وُلد سنة ٦٩٩ م. وتوفي سنة ٧٦٥ م.

ويعتبر جابر بن حيَّان من أشهر علماء العرب في الكيمياء وكان عالماً أيضاً بعلوم الفلك والتصوُّف وقد ألَّف جابر كتباً عديدة ويُعزى له، كما يقول بعض الباحثين، حوالي خمسمائة مصنف. ومن هذه الكتب التي ألَّفها جابر هي: كتاب « الرحمة » وكتاب « الزئبق الشرقي » وكتاب « التجمع » وكتاب « كشف الأسرار وهتك الأستار » وكتاب « المكتسب » وكتاب « الخالص ». وقد قال الدكتور الأستاذ أمين أسعد خير عن جابر: (ومن المتعارف أنَّ جابر نفسه ـ أو غيره من العرب المنتسبين إليه ـ كان أوَّل من حضَّر الحامض الكبريتيك المعروف بزيت الزاج... وإليه يعود الفضل في اكتشاف الحامض النيتريك والماء الملكي (حامض النتروهيدروليك) وهيدروكسيد الصودا والسليماني ويودور الزئبق والأنتيمون وغيرها)[٦٦].

(٦٦) أنظر: « الطب العربي »، ص ١٨٣.

أمَّا ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد ضياء الدين الأندلسي فكان طبيباً ماهراً وعالماً شهيراً في علم النبات، ويلقَّب بـ (ابن البيطار).

وُلد ابن البيطار في ملقا بإسبانيا عام ٥٧٥ هـ. الموافق ١١٩٧ م. وتوفي في دمشق سنة ٦٤٦ هـ. الموافقة لسنة ١٢٤٨ م. لقد تتلمذ على ابن العباس النباتي وعبد الله بن صالح وابن الحجاج من مدينة إشبيلية. وكان كثير الترحال يحب السفر في سبيل العلم ودراسة النباتات وعندما حلَّ مصر عيَّنه الملك العادل كمفتش عام لجميع الصيادلة، وكان يُدعى حينذاك رئيس العشَّابين. وسافر إلى سوريا حيث توفي فيها.

ومن تلاميذ ابن البيطار، ابن أبي أُصيْبعة.

ومن كتبه الشهيرة كتاب «المغني في الأدوية المفردة» وكتاب «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية».

وقد خلَّد ذكراه كتابه الهام «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» الذي يعتبر موسوعة ضخمة نادرة وقد ترجم للغة اللاتينية وأصبح المرجع الرئيسي في الجامعات الأوروبية حتى القرن الثامن عشر. وترجم إلى الإلمانية وكذلك ترجمه إلى الفرنسية لوسيان لوكلير في القرن التاسع عشر.

ولم يستطع أحد أن يأتي بمثل كتاب ابن البيطار الذي سجَّل فيه معظم ما صنع وجاء به العرب ومن قبلهم في علم الأدوية. ولقد جمع فيه ابن البيطار كل أنواع الأدوية المنحدرة من الحيوان والنباتات والمعادن ورتَّبها في كتابه على حسب ترتيب الأحرف الأبجدية. ولقد وصف أكثر من ألف وأربعمائة عقار سواء كان نباتياً أو معدنياً أو حيوانياً منها ثلاثمائة عقار جديد لم يسبقه الأوَّلون في ذكرها.

ومن علماء العرب الأوائل في علم العقاقير والصيدلة في القرن الثاني الهجري الموافق للقرن الثامن الميلادي هو ماسرجيس الذي ألَّف كتاب «قوى العقاقير ومنافعها ومضارها».

ولقد نهل علماء العرب والمسلمين بعد تدقيق من علوم اليونان ولكن زادوا عليها الكثير واكتشفوا العديد من العقاقير ومن أهم علماء اليونان في الصيدلة هو ديوسقوريدس الذي عاش في القرن الأوَّل الميلادي وله كتاب «المادة الطبية» الذي

ترجمه أصطفين بن باسيل وحنين بن اسحق بعنوان « كتاب الحشائش هيولي الطب » وذلك في القرن الثالث الهجري الموافق التاسع الميلادي.

ومن علماء العقاقير اليونان الطبيب والصيدلاني جالينوس الذي عاش ١٣١ - ٢٠١ م. وكان يمارس الطب في مدينة برجاموم Pergamom في آسيا الصغرى.

وعندما كان الصيدلاني العربي يقرأ كتب الأقدمين من اليونان وغيرهم كان يمحصها ويتبع ما هو صالح بعد أن ينقدها بإمعان وتدبير، فإليكم ما يقوله الرازي من نقد وتعليق على الجزء الأوّل من كتاب جالينوس « في تركيب الأدوية »: (دراسة تحليلية لمؤلّفات الرازي وابن سينا مع الإشارة إلى أثر كلّ منهما في تقدّم البحوث الطبية - ألبير إسكندر - إنجلترا - ...). يقول الرازي: (فأمّا كتاب (فاطاجانس) فللإنسان أن يلزمه ويعدّله بالحق على تطويله وتكريره الكلام في تلك المراهم كأنّه لا يشفق على الزمان أو ليس له شغل هو أولى به. وجلّ تلك المراهم مما لا نستعملها نحن قط على كثرة عنايتنا لصناعة الجراحات ومعالجة الرديئة منها. ولم نرِ أحداً من أصحاب الجراحات استعملها ...)[٦٧].

وجاء أيضاً: (وفي كتاب « الشكوك على جالينوس » ينقد الرازي كتاب جالينوس « في البحران » فيقول: (وكثيراً ما يتضارب العلم مع العمل...)[٦٨].

وجاء أيضاً: (إنَّ رسالة الرازي في هذا النص لواضحة جلية: لأهل العلم والبحث أن يتشكّكوا فيما يقرؤون ولا يصدّقوا إلاّ ما يثبت صحته بالتجربة والقياس وكثيراً ما ردَّد الرازي رأيه هذا في كتابه « في خواص الأشياء »... كان الرازي طبيباً وجرّاحاً فاضلاً، يقرأ كثيراً ويربط بين العلم والعمل وكانت له الشجاعة الكافية فنقد أساطين الطب فيما لا يتفق مع الحقيقة كما يراها...)[٦٩].

وجاء في كتاب « الطب العربي »: (... والواقع أنَّ العرب كانوا أوّل من أنشأ فن

---

(٦٧) نقلاً عن « نشرة الطب الإسلامي » - العدد الأوّل - الطبعة ٢ - الأبحاث وأعمال المؤتمر العالمي الأوّل عن الطب الإسلامي - الكويت - ربيع الأوّل ١٤٠١ هـ - يناير ١٩٨١ م. - ص ٢٤٢ - ٢٥٠.

(٦٨) المصدر السابق، ص ٢٤٩.

(٦٩) المصدر السابق، ص ٢٥٠.

الصيدلة وتحضير الأقراباذين وإقامة الرقابة على الصيدليات والصيادلة فكان الصيادلة لا يتعاطون صناعتهم إلاّ بعد الترخيص لهم وقيد أسمائهم في الجدول الخاص بهم وكان في كل مدينة مفتّش خاص للصيدليات وتحضير الأدوية)[٧٠].

وتقول الدكتورة زيغريد هونكه: (كان العرب أوّل من أوجد طرق المراقبة المنظّمة في ضوء الشروط التي كان بإمكانهم في كل حين أن يعيدوها وينوّعوها ويراقبوها فخلقوا بذلك علم الكيمياء التجريبي في مفهومه العلمي وأوصلوه إلى قمّة رفيعة أصبحت بموجبها اكتشافات علمي الكيمياء العضوية والكيمياء غير العضوية الحديثين من الضرورات الماسّة لإرجاع الكيمياء التجريبية إلى المستوى الذي أوصلها إليه العرب، كما قال المؤرّخ الإنجليزي كاستم Custom.

لقد وفّق العرب إلى تحقيق اكتشافات عملية في علم الكيمياء وكشف تركيبات جديدة بدل محاولتهم الخبالية لكشف الإكسير الذي يهب الحياة ويعيد الشباب، وبدل محاولتهم لمعرفة حجر الفلسفة الذي يحوّل المعادن إلى ذهب... كما تمكّن جابر ومَنْ خَلَفه من العلماء العرب من استحضار عدد كبير من المركّبات الكيميائية كماء الذهب والصودا الكاوية وكربونات البوتاسيوم وكربونات الصوديوم والزرنيخ والأثمد والقلويات والنشادر ونترات الفضة والراسب الأحمر وغيرها... وفرّقوا بين الحوامض والقلويات وراقبوا ازدياد المعادن وزناً في عمليات التأكسد، وعرفوا بأنّ النار تنطفىء بانعدام الهواء وطوّروا عمليات أساسية في الكيمياء كالتصعيد والترشيح والتذويب والتبلور والتسامي والتكليس والتقطير. وميّزوا بين التقطير المباشر وبين التقطير بواسطة الحمّام المائي أو بواسطة الحمّام الرملي. كما أنّهم استعملوا الزجاج الذي صنعه السوريون والمصريون البارعون فجلبوا من حلب الأدوات الزجاجية المختلفة إلى مختبراتهم وابتكروا الأنبيق Alambic والأثال Aludel كما تُدعىٰ الأجزاء العليا والسفلى من آلة التقطير الحديث... وعن طريق التقطير صُفّيَ الخل...)[٧١].

---

(٧٠) أنظر: «الطب العربي»، د. أمين أسعد خير الله، أستاذ الجراحة بالجامعة الأميركية في بيروت الذي وضعه بالإنجليزية وترجمه إلى العربية د. مصطفى أبو عز الدين (المصدر ابن أبي أصيبعة ـ جزء ٢ وجه ١٣٣).

(٧١) أنظر: «شمس العرب تسطع على الغرب»، ص ٣٢٥ ـ ٣٢٩.

وتضيف الدكتورة زيغريد : (ويدين الطب لعلم الكيمياء العربي بسلسلة من أشكال العقاقير كالشراب الحلو (Sirup) المستخرج من نبات الكرنب مع السكر الذي مثّل دوراً هاماً في تاريخ الطب والجلاّب Julep وهو شراب حلو المذاق منعش أقلّ كثافة من الشراب والفاكهة المطبوخة بالعسل أو السكر... وبرع العرب كل البراعة بما قدّموه من أنواع الضمادات والمساحيق والمراهم واللزوق وغيرها... واستعملوا كذلك القهوة المحروقة لمعالجة التهابات عديدة وقد أخذ عنهم عالم كيميائي إلماني، قبل ثلاثين سنة، استعمال (القهوة المفحمة) التي سمّاها بنفسه (منقذة الحياة) وحملها معه إلى إلمانيا حيث استعملت للالتهابات المزمنة وقدّمت نتائج باهرة مذهلة. وقد وُفّق العرب أيضاً إلى صنع مراهم دبقة تجف مع الوقت (كشمعات) الجروح الحديثة)[٧٢]. وتستطرد الدكتورة زيغريد أيضاً فتقول: (عن العرب أيضاً أخذنا طريقة الأقراباذين التي يقوم الصيدلي على أساسها بتحضير الأدوية...)[٧٣]. وتستطرد وتقول: (إنّ كل مستشفى، مع ما فيه من ترتيبات ومختبر، وكل صيدلية ومستودع أدوية في أيامنا هذه إنّما هي في حقيقة الأمر نصب تذكارية للعبقرية العربية. كما أنّ كلّ حبّة من حبوب الدواء، مذهبة أو مسكّرة إنّما هي كذلك تذكار صغير ظاهر، يذكرنا باثنين من أعظم أطباء العرب ومعلّمي بلاد الغرب)[٧٤].

ويقول ول ديُورانت: (... وقد أضاف العرب إلى علم الأقراباذين العنبر والكافور، وخيار الشنبر والقرنفل العطري والزئبق والسنالمكي... وأدخلوا في الأدوية مستحضرات طبية جديدة، منها أنواع الشراب، والجلاب وماء الورد وما إليها... وكان المسلمون أوّل من أنشأ مخازن الأدوية والصيدليات وهم الذين أنشأوا مدرسة للصيدلة وكتبوا الرسائل العظيمة في علم الأقراباذين)[٧٥].

---

(٧٢) المصدر السابق، ص ٣٢٨.

(٧٣) المصدر السابق، ص ٣٣٢.

(٧٤) المصدر السابق، ص ٣٣٤ ـ ٣٣٥.

(٧٥) أنظر: «قصة الحضارة»، طبعة الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية ـ الكتاب الثاني ـ الحضارة الإسلامية ـ الجزء ١٣ ـ الفصل ١٢ ـ ص ١٨٩.

المصادر

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ الأحاديث النبوية الشريفة.

٣ ـ « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » تأليف ابن أبي أصيبعة، شرح وتحقيق الدكتور نزار رضا.

٤ ـ « القانون في الطب » تأليف الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن علي بن سينا ـ دار صادر.

٥ ـ « العلوم عند العرب » تأليف الأستاذ قدري طوقان.

٦ ـ « القاموس المحيط » للفيروز آبادي.

٧ ـ « معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة الأوروبية » الطبعة الأولى ـ تأليف الأستاذ عبد الله علوان.

٨ ـ « الموسوعة العربية الميسرة » ـ الطبعة الثانية.

٩ ـ « الأمراض النسوية في التاريخ القديم وأخبارها في العراق الحديث » تأليف الدكتور كمال السامرائي.

١٠ ـ « النباتات الطبية عند العرب » تأليف الدكتور ناصر حسين صقر.

١١ ـ « جواهر الأدب » تأليف السيد أحمد الهاشمي ـ الطبعة السادسة والعشرون.

١٢ ـ « روّاد الطب » تأليف كاترين ب. شين، ترجمة الدكتور محمد عيسى.

١٣ ـ « شمس العرب تسطع على الغرب » تأليف الدكتورة زيغريد هونكه، ترجمة فاروق بيضون وكمال الدسوقي.

١٤ ـ « السيرة النبوية » لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي.

١٥ ـ « الإصابة في تمييز الصحابة » لابن حجَر العسقلاني ـ الطبعة الأولى.
١٦ ـ « منتقى النقول في سيرة أعظم رسول » تأليف الأستاذ حامد محمود بن محمد بن منصور ليمور ـ الطبعة الأولى.
١٧ ـ « خبرات في التمريض » بقلم هيلين رايت، ترجمة الدكتورة سعاد ماهر.
١٨ ـ « العرب في حضارتهم وثقافتهم » تأليف الأستاذ الدكتور عمر فروخ ـ الطبعة الثانية.
١٩ ـ « قصص الأنبياء » تأليف الأستاذ عبد الوهاب النجَّار ـ الطبعة الثانية.
٢٠ ـ « مختصر تفسير ابن كثير » ـ اختصار وتحقيق الأستاذ محمد علي الصابوني ـ الطبعة السابعة.
٢١ ـ « المنجد في الأعلام » ـ الطبعة الثانية.
٢٢ ـ « قاموس المورد » ـ الطبعة الحادية عشرة.
٢٣ ـ « كتاب ابن النفيس » تأليف الدكتور. بول غليونجي.
٢٤ ـ « الطبقات الكبرى » تأليف ابن سعد.
٢٥ ـ « فتح القريب المجيب على تهذيب الترغيب والترهيب » تأليف الشيخ علوي السيد عباس.
٢٦ ـ « الترغيب والترهيب » انتقاء شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ضبطه محمد المجدوب ـ الطبعة الأولى.
٢٧ ـ « مختار الحسن والصحيح من الحديث الشريف » إختيار عبد البديع صقر.
٢٨ ـ « زاد المعاد في هدى خير العباد » لابن قيِّم الجوزية.
٢٩ ـ « صفة الصفوة » ـ الطبعة الأولى ـ للإمام ابن الجوزي.
٣٠ ـ « أعلام النساء » تأليف عمر رضا كحالة.
٣١ ـ « أعلام العرب والمسلمين في الطب » ـ الطبعة الأولى ـ تأليف الدكتور علي عبد الله الدَّفاع.
٣٢ ـ « الأعلام » تأليف خير الدين الزركلي.
٣٣ ـ « تاريخ البيمارستانات في الإسلام » تأليف الدكتور أحمد عيسى بك.

٣٤ ـ « التصريف لمن عجز عن التأليف » ـ مخطوطة في مكتبة الجامعة الأردنية ـ تأليف أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي ـ ميكروفيلم رقم ٨٠/ ٨١ .
٣٥ ـ « الطب العربي » للدكتور أمين أسعد خير الله وضعه بالإنجليزية ونقله للعربية الدكتور مصطفى أبو عز الدين.
٣٦ ـ « حضارة العرب » تأليف الدكتور غوستاف لوبون، نقله للعربية عادل زعيتر ـ الطبعة الثالثة.
٣٧ ـ « قصة الحضارة » تأليف ول ديُورانت.
٣٨ ـ « الموجز في تاريخ الطب والصيدلة » تأليف مجموعة من الأطباء بإشراف الدكتور محمد كامل حسين.
٣٩ ـ « عالم الفكر » ـ دولة الكويت ـ إبريل، مايو يونيو ١٩٧٨ م. ـ وزارة الإعلام في الكويت.
٤٠ ـ « العلوم في الإسلام » تأليف سيِّد حسين نصر ـ دار الجنوب المنشر ـ تونس.
٤١ ـ « نشرة الطب الإسلامي » العدد الأوَّل ـ الطبعة الثانية ـ الأبحاث وأعمال المؤتمر العالمي الأوَّل عن الطب الإسلامي ـ الكويت ـ يناير ١٩٨١ .

آثار المؤلِّف

صدر للمؤلِّف

١ ـ السواك والعناية بالأسنان.

٢ ـ صحة الفم والأسنان.

٣ ـ ديوان مناجاة ـ شعر ـ .

٤ ـ ديوان تأمُّلات ـ شعر ـ .

٥ ـ الإعجاز الطبي في القرآن الكريم ـ العسل ـ .

٦ ـ الإعجاز الطبي في القرآن الكريم والأحاديث البنوية الشريفة ـ الرطب والنخلة ـ .

٧ ـ نشأة الطب.

٨ ـ ديوان حبيبتي القدس ـ شعر ـ.

٩ ـ ديوان حبيبتي فلسطين ـ شعر ـ.

١٠ ـ فضائل القدس ومعالمها.

تحت الطبع

١ ـ الطب ورائداته المسلمات.

٢ ـ روَّاد الطب عند المسلمين والعرب.

تحت الإعداد

١ ـ الإعجاز الطبي في القرآن الكريم.

٢ ـ الإعجاز الطبي في السنَّة النبوية الشريفة.

٣ ـ نظافة الفم والأسنان.

٤ ـ التمريض ورائداته المسلمات.

٥ ـ المستشفيات الإسلامية.

٦ ـ ديوان السيرة النبوية /شعر/ الجزء الأوَّل.

٧ ـ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

الفهـرس

الإهداء ٧
المقدمة ٩
الفصل الأول: الطب في العصور القديمة **١١**
الفصل الثاني: المبتدئون بالطب **٢٥**
١ ـ هرمس الأول ٢٧
٢ ـ هرمس الثاني ٢٩
٣ ـ هرمس الثالث ٢٩
الفصل الثالث: روّاد الطب القديم **٣١**
أ) أطباء اليونانيين القدماء ٣٣
١ ـ أسقليبيوس ٣٣
٢ ـ أبقراط ٣٨
٣ ـ جالينوس ٤٢
٤ ـ يولس الأجيني ٤٤
٥ ـ إيتوس الأمدي (البكري) ٤٥
ب) أطباء المصريين القدماء ٤٧
١ ـ ايمحوتب ٤٧
٢ ـ أمنحوتب بن حابو ٤٨

٣ ـ سنختناخ ٨
٤ ـ الطبيب خوى والطبيب ايرى ٤٩
الفصل الرابع: الطب في العصر الجاهلي **٥١**
الفصل الخامس: الطب في العصر الاسلامي **٦١**
المصادر ٩٧
آثار المؤلف ١٠١

أ.د. عبد الله عبد الرازق السعيد

الدكتور عبد الله عبد الرازق السعيد

صدر له :-

١- السواك والعناية بالأسنان

٢- صحة الفم والأسنان

٣- الاعجاز الطبي في القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة - الرطب والنخلة

٤- الاعجاز الطبي في القرآن الكريم - العسل -

٥- رسالة المساجد

٦- الطب وآدابه الملتقيات

٧- نشأة الطب

٨- الملتقيات الاسلامية

٩- جيش فلسطين / شعر

١٠- جيش القدس / شعر

١١- ديوان مناجاة / شعر

١٢- ديوان السيرة النبوية الشريفة / الجزء الاول / العصر المكي / شعر

١٣- ديوان السيرة النبوية الشريفة / الجزء الثاني / الهجرة النبوية / شعر

١٤ ديوان نفحات الانبياء / شعر

١٥- ديوان اسرار وخلود / شعر

١٦- ديوان تأملات / شعر

١٧- الاعجاز الطبي في الاحاديث النبوية الشريفة - الكمأة -

١٨- الاعجاز الطبي في الاحاديث النبوية الشريفة - الحبة السوداء

١٩- الاعجاز الطبي في الاحاديث النبوية الشريفة - الحجر الصحي -

٢٠- الاعجاز الطبي في الاحاديث النبوية الشريفة - علم الوراثة

٢١- من رواد الطب في القرن الأول الهجري وفي الأردن وفلسطين

٢٢- ديوان الحان / شعر

٢٣- الملك سيف بن ذي يزن

٢٤- ديوان الرياح - شعر -

٢٥- الاعجاز الطبي في الاحاديث النبوية الشريفة - زيت الشجرة المباركة

٢٦- الاعجاز الطبي في الأحاديث النبوية الشريفة (الطب النفسي)

تحت الطبع

١ - رواد الطب عند المسلمين والعرب .

٢ - فضائل القدس .

٣ - الأمراض المستعصية الخالدات .

٤ - من الاعجاز الطبي في الأحاديث النبوية الشريفة صحة البيوت والطرقات .

٥ - من الاعجاز الطبي في الاحاديث النبوية الشريفة - نظافة البيئة .

٦ - ديوان مزيد الكامل - شعر

٧ - من الاعجاز الطبي في الاحاديث النبوية صحة الملبس ونظافته .

٨ - من الاعجاز الطبي في الاحاديث النبوية الشريفة - نظافة الإنسان .

٩ - ديوان نطق الحجر - شعر .

١٠ - ديوان حماة القدس - شعر .

تحت الاعداد - مخطوطات :

١ - من الاعجاز الطبي في الاحاديث النبوية الشريفة الطب النبوي الوقائي .

٢ - الاسلام ومؤسساته الطبية .

٣ - من الاعجاز الطبي في الاحاديث النبوية الشريفة - نظافة البيئة .

٤ - حكايات من الفسفة - - -

٥ - جراحة الفم والاسنان من مخطوطة (التصريف) للزهراوي .

٦ - الاعجاز الطبي في القرآن الكريم - نشأة الانسان .

٧ - الاعجاز الطبي في القرآن الكريم - الرضاعة الطبيعية .

٨ - الاعجاز الطبي في القرآن الكريم .

٩ - نظافة الفم والاسنان .

١٠ - من الاعجاز الطبي في الاحاديث النبوية الشريفة الطب النبوي

الملاجئ

١١ - الطبيب الرئيس الفيلسوف : ابن سينا .

١٢ - ديوان مرثية شعب / شعر

١٣ - من الاعجاز الطبي في القرآن الاستشفاء بالقرآن والطب الحديث .

١٤ - الطب والتاريخ .

١٥ - من الاعجاز العلمي في القرآن الكريم .

١٦ - من الاعجاز الطبي في الأحاديث النبوية الشريفة - الطب النبوي كامل شامل .

١٧ - ديوان الارض المباركة / شعر .

١٨ - مسرحية عاملون / شعر .

١٩ - من الاعجاز الطبي في الاحاديث النبوية الشريفة التغذية الصحي

٢٠ - طبيب المسلمين العظيم (الرازي)

R
134
.S23
1985

السعيد، عبد الله
عبد الرازق

نشأة الطب

LBS 1623391

101623391

001623391
R 134.S23 1985

KFUPM LIBRARY
2003 04 02

عزيزي المستفيد،

يرجى مساعدتنا في الحفاظ على مقتنيات المكتبة لتكون في حالة جيدة. كما يرجى إعادة المواد المعارة في "التاريخ المحدد" لتجنب الغرامات. دعونا نعمل معًا لجعل مكتبتنا رائعة.

Dear User,

Kindly help us in keeping the library collection in good shape. Also, please return borrowed materials on "Due date" for avoiding fines. Let's work together to make ours a great library.